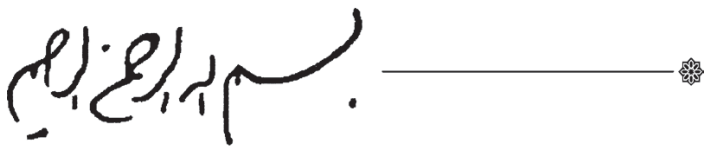
بسم الله الرحمن الرحيم

في مدرسة الرسول الأعظم (ص)

مختارات من كلمات قائد الثورة الإسلامية

آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّظله‌العالي)حول شخصية

رسول الإسلام الأعظم محمّد بن عبد الله (صلوات الله و سلامه عليه و آله) و بعثته و نهجه

مؤسسه ی پژوهشی فرهنگی

دفتر حفظ و نشر آثار حضرت آیت الله العظمی خامنه ای (مدظله)

الفهرس

الفهرس ٥
حول هذا الكتاب ١٣
المقدمة..... ١٥
الآثار البليغة لمعرفة أبعاد شخصية النبي الأكرم (ص) و سيرته ١٨
ضرورة العمل الواسع و الشامل لتعريف أبعاد شخصية الرسوم الأعظم (ص)... ١٩
أسلوب الرسول الأعظم (ص) في نشر القيم و الأخلاق الإسلامية في المجتمع.. ٢٠
نماذج من أسلوب الرسول (ص) لتوفير الأجواء الإسلامية في المجتمع ٢١
١ – إشاعة حسن الظن و اجتناب سوء الظن و التحامل..... ٢٢
إشارة إلى إشاعة حول إحدى نساء الرسول الأكرم (ص)..... ٢٣
الردّ القرآني الشديد على مروّجي الإشاعات و مستمعيها ٢٣
جزاء التهمة في الفقه الإسلامي..... ٢٤
٢ – تنمية الشعور المسؤولية لدى المسلمين بعضهم تجاه بعض..... ٢٦
عهد التآخي الذي أقامه الرسول الأكرم (ص) بين المسلمين ٢٨
٣ – الإفشاء العملي لروح التضحية و عرفان الجميل بين المسلمين ٢٨
بعثة الرسول الأكرم (ص) أهم أحداث التاريخ الإنساني و أكثرها تأثيراً ٣٠
أمران مهمّان في البعثة بالنسبة للمسلمين في الزمن الحاضر..... ٣١
١ – البعثة.. حقيقة طبيعية و حاسمة للإنسانية ٣١
٢ – اسم الرسول الأكرم (ص) و ذكراه و محبّته و إكرامه.. المحور الرئيس لوحدة كل المسلمين..... ٣٢
اقتران العاطفة و الإيمان في جاذبية اسم الرسول الأعظم (ص) و ذكراه..... ٣٣

نقطتان أساسيتان في قضية الوحدة بين المسلمين ٣٣
١ – التغلب على الخلافات و النزاعات الناجمة عن تحريضات الأعداء.....٣٤
٢ – توجيه وحدة المسلمين نحو سيادة الإسلام في المجتمع و العالم ٣٥
الإسلام وصفة علاج لكل عصور الحياة الإنسانية ٣٦
العودة لرسالة البعثة السبيل الوحيد لعلاج آلام المسلمين في العالم.....٣٨
التوحيد و العدالة.. هديتان معنويّتان من الرسول الأكرم (ص) للبشرية و كل الناس.....٣٩
أسبوع الوحدة.. تأكيد على تلبية حاجة البشرية إلى دعوة الرسول للتوحيد و العدل ٤١
٢ – إتمام مكارم الأخلاق ٤١
٣ – العدالة الاجتماعية.....٤٢
الإنسانية المعاصرة و حاجتها الماسّة لرسائل البعثة.....٤٣
أوجه أهمية ولادة النبي الأكرم (ص) لعصر البعثة و كل عصور التاريخ ٤٥
مقارنة ظروف العالم اليوم بظروفه في عصر البعثة.....٤٧
حبّ الرسول الأكرم (ص) محور الوحدة بين المسلمين في العالم.....٤٨
ظروف العالم في زمن البعثة.....٤٨
تناظر الظروف في العالم اليوم مع زمن البعثة من حيث الحاجة إلى سبيل الإسلام العقلاني المعنوي ٥٠
بعثة النبي الأكرم (ص) ينبوع كل الفضائل في العالم ٥٢
معايير الاختلاف بين عصر البعثة و العصر الجاهلي ٥٤
١ – التوحيد الخالص ٥٤
٢ – تحكيم العدل.....٥٥
٣ – مكارم الأخلاق ٥٦
٤ – عدم تحديد النظرات و الهمم بالحياة الدنيا ٥٧

أهمية الوحدة و ضرورة السعي الدؤوب لتحقيقها.....٥٧
خصوصيات أعداء الإسلام و الصحوة الإسلامية في العصر الراهن ٥٨
شخصية النبي الأكرم (ص) و تعاليمه.. محور الوحدة بين مسلمي العالم.....٦١
بعثة النبي الأكرم (ص) يوم ولادة أعظم المفاهيم و القيم و أشرفها.....٦٣
هدفان واضحان للبعثة:.....٦٤
٢ – تحقيق مجتمع سليم و عادل ٦٦
ولادة رسول الإسلام (ص) رحمة إلهية دائمة على البشر ٦٧
حاجة المجتمع البشري لتعاليم الإسلام.....٦٨
البعثة.. نقطة انطلاق البشرية في مسيرتها التكاملية.....٦٩
كفاح الرسول (ص) ثلاثة و عشرين عاماً لإبلاغ الرسالة الإلهية.....٧١
دور تأسيس الحكومة الإسلامية في توفير المناخ العادل السليم ٧٢
السير نحو تحقيق المبادئ معيار سلامة الحكومة الإسلامية و اعتبارها.....٧٤
تخلّق الإنسان بالأخلاق الحسنة؛ الهدف الغائي من تأسيس الحكومة الإسلامية ٧٥
دور الاستكبار العالمي في الوضع المؤسف للمجتمع البشري راهناً.....٧٧
تعالي حقيقة النبي الأعظم (ص) على فهم البشر و إدراكهم ٧٨
محبّة الرسول الأعظم (ص) النقطة الوحيدة التي لا خلاف عليها بين المسلمين .٧٩
نقاط أساسية في معالجة أمراض راهنة يعاني منها العالم الإسلامي.....٨٠
ضرورة استخدام المسلمين لمختلف طاقاتهم من أجل تحقيق النجاح ٨٢
ضرورة تفكير المسلمين بأهمية بعثة النبيّ الخاتم (ص).....٨٤
رسائل المبعث في القرآن الكريم ٨٥
البشرية اليوم أحوج من أي وقت لإحياء اسم الرسول (ص) و تعاليمه ٨٦
ركيزتان أساسيّتان في الإسلام: كلمة التوحيد و توحيد الكلمة ٨٧
وجود نبيّ الإسلام الكريم (ص) هو الإسم الإلهي الأعظم.....٨٨
البعثة استجابة لاحتياجات الإنسان الشاملة اللامتناهية ٨٩

انتفاع العلوم و الحضارة البشرية من الإسلام و تعاليمه ٩١
وضع العالم و ظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام (ص) ٩٢
العوامل و العناصر المهمة في نجاح الإسلام ٩٣
استمرار تألق الإسلام و تأثيره على مرّ التاريخ و الحقبة المعاصرة ٩٥
المقام السامي لوجود الرسول الأكرم (ص) و شخصيته و رسالته ٩٦
جذور و أسباب الإهانات التي يوجّهها الأعداء لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة
..... ٩٧
مؤشرات الصحوة و الانبعاث الإسلامي في العصر الحاضر..... ٩٨
سقوط المعسكر الشرقي نموذج لإمكانية دحر المستكبرين ٩٩
البعثة.. فتح الطريق لخروج البشرية من كل الظلمات الفردية و الاجتماعية .. ١٠٠
خلاصة سيرة النبي الأكرم (ص) في الأعوام العشرة لحكومته في المدينة المنوّرة . ١٠١
سبع مميزات رئيسية للنظام الإسلامي الذي أسّسه الرسول الأكرم (ص) ١٠٢
دروس عديدة من سيرة الرسول (ص) خلال فترة حكمه في المدينة..... ١٠٥
الفطنة و التدبير الدقيق في الأداء السياسي للرسول الأكرم (ص) ١٠٧
خمسة أعداء أصليين هدّدوا المجتمع الإسلامي في عصر النبي (ص)..... ١١٠
٢ – الأشراف المستكبرون الحاكمون في مكة ١١٠
٣ – القبائل اليهودية الثلاث..... ١١٢
٤ – المنافقون ١١٤
٥ – العدو الداخلي.. الميول النفسية نحو الانحراف و الضلال ١١٥
أهمية ولادة الرسول الأكرم (ص) و آثارها..... ١١٩
العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص)..... ١٢١
مقارنة بين جاهلية ما قبل الإسلام و الجاهلية المعاصرة ١٢٣
الصحوة الإسلامية عودة المسلمين من حقبة الجهل و الانحراف إلى تعاليم الرسول
الحقيقية..... ١٢٥

إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى ١٢٧
بعثة النبي الأكرم (ص) دعوة للتوحيد كمنهج حياة للبشر ١٢٨
البعثة دعوة لكل الكمالات التي يحتاجها البشر..... ١٢٨
مسؤولية العلماء و المثقفين و الرؤساء و النخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية
..... ١٣٠
شخصية الرسول الفذّة.. نموذج دائمي لكل العصور ١٣١
نبي الإسلام.. معلم كل الفضائل من عدالة و إنسانية و معرفة و أخوّة و رشد و
تكامل..... ١٣٢
شرح الواقع الراهن للمسلمين و الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية ١٣٢
مسؤولية الحكومات و النخبة المسلمين الثقافيين و الدينيين حيال وحدة العالم
الإسلامي ١٣٤
مميزات الأمة الإسلامية من بركات بعثة رسول الإسلام (ص)..... ١٣٦
بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب
المسلمة ١٣٧
وحدة المسلمين واجب عقلاني على عاتق الأمة الإسلامية ١٣٨
أسباب تذرّع الأعداء بحقوق الإنسان و محاربة الإرهاب ١٤٠
يوم المبعث عيد البشرية كلها عبر التاريخ ١٤١
حقائق العالم المعاصر و ضرورة التنبّه لها: ١ – صحوة العالم الإسلامي..... ١٤٢
٢ – إسلام التفكير و التعمّق و التحرّر الفكري.. المظهر الحقيقي للصحوة
الإسلامية ١٤٣
دروس الرسول الأكرم (ص) و واجب الجميع في مراجعتها و العمل بها..... ١٤٥
رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء و الأولياء ١٤٦
رسالة تسمية سنة باسم الرسول الأكرم (ص) ١٤٨
الأهداف العليا لرسول الإسلام: ١ – إتمام مكارم الأخلاق ١٤٩

٢ – الاستقامة و الثبات ١٥٠
أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الطاهرة ١٥٢
الصحوة الإسلامية.. السبيل الوحيد لاستعادة الأمة الإسلامية عزتها ١٥٤
مميزات الرسول الأعظم (ص) لتحمّل أعباء البعثة الهائلة ١٥٥
إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة من قبل المستكبرين المستعمرين..... ١٥٩
حاجة الأمة الإسلامية للحكومة الإسلامية الحقيقية..... ١٦٠
جذور انحطاط الأمة الإسلامية و عوامله..... ١٦١
حاجة البشرية الدائمة لرسول الرحمة (ص) و رسالته الإلهية..... ١٦٤
صحوة المسلمين الراهنة و الانفتاح على المعارف الإسلامية ١٦٥
حاجة البشرية لرسالة البعثة، و ثلاثة معالم مهمة للدعوة الإسلامية: العلم و الحكمة، و التزكية و الأخلاق، و العدالة و الإنصاف ١٦٦
الواجب الخطير للنخبة و المسؤولين في البلدان الإسلامية..... ١٦٦
استذكار البعثة مراجعة لدرس خالد للأمة الإسلامية و كل البشرية ١٦٨
الأبعاد المتعددة و المتنوعة لبعثة الرسول الأكرم (ص)..... ١٦٨
بعثة الرسول الأكرم (ص) طليعة تاريخ إنساني جديد..... ١٦٩
العناصر المؤثرة و الضامنة لنجاح رسول الإسلام (ص) في ظروف الجاهلية و العصبية..... ١٦٩
ضرورة الدراسة الدقيقة لحياة الرسول الأكرم (ص) و فهم دروسها، و من دروسها البصيرة و الصبر ١٧٣
معاني الأحداث التي اقترنت بولادة الرسول الأعظم (ص) ١٧٤
الوحدة الإسلامية الواجب الأصلي و المهم على المسلمين ١٧٦
العوامل الداخلية و الخارجية الناقضة لوحدة الأمة الإسلامية..... ١٧٦
واجبات الساسة و النخبة و المثقفين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار ١٧٩

أبعاد التربية العقلانية و الأخلاقية و القانونية في بعثة الرسول الأكرم (ص) .. ١٨٠
١ – التربية العقلانية ١٨٠
٢ – التربية الأخلاقية ١٨٢
٣ – التربية القانونية..... ١٨٣
حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية ١٨٤
بعثة النبي الأكرم (ص) سبيل تأمين كل المطاليب الفطرية كالعدالة و السلام ١٨٥
سمات الجاهلية الحديثة في العصر الراهن..... ١٨٨
مؤشرات الصحوة الإسلامية و الزوال الأكيد للاستكبار و أعداء العدالة و السلام
..... ١٨٩
آثار الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة ١٩٢
واجبات النخب السياسية و العلمية و الدينية في العالم الإسلامي لاستمرار
الصحوة الإسلامية ١٩٥
يوم المبعث.. أهم و أعظم و أكثر أيام السنة بركة ١٩٧
العودة للإسلام السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية و السير نحو الكمال..... ١٩٨
عدم جدوى مساعي الاستكبار لمواجهة الصحوة الإسلامية..... ١٩٩
تعليم دروس الرسول الأكرم (ص) السبيل إلى إحياء العزة الإسلامية ٢٠٠
شخصية الرسول الأكرم (ص) و خصالها ٢٠١

حول هذا الكتاب

الكتاب الذي بين يدي القارئ العزيز مختارات من كلمات سماحة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي حول شخصية رسول الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) و خصاله و بعثته، و قد استقيت من خطاباته التي ألقاها من خرداد ١٣٦٨ هـ ش (أيار ١٩٨٩ م) إلى شهريور ١٣٩١ هـ ش (أيلول ٢٠١٢ م) طبقاً للملاحظات أدناه:

١ – من بين الآراء المذكورة حول حياة الرسول الأكرم (ص) و شخصيته، تم اختيار دروس الحياة و البعثة التي يحتاجها كل البشر و المجتمعات الإنسانية على مرّ التاريخ و خصوصاً في الفترة الحاضرة.

٢ – متلقّو الكلمات التي تمّ اختيارها للسيد القائد هم في الغالب النخب و المثقفون و المدراء في البلدان الإسلامية.

٣ – تمّ إدراج المقاطع المختارة حسب التسلسل الزمني للخطابات.

على أمل أن تحلّ هذه الكلمات التي هي بدورها ثمرة التعاليم الخالدة لمدرسة آخر أنبياء الله سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و الواردة على لسان أحد كبار العلماء و الفقهاء الإسلاميين المعاصرين، محلاً طيباً من أرواح القرّاء و قلوبهم، و أن تبثّ روحاً جديداً في نهضة الصحوة الإسلامية المتوثبة.

إن شاء الله

المقدمة

يمكن اعتبار المحور الأصلي لهذا الكتاب طريق سعادة البشرية عبر التاريخ، الطريق الذي اختطه خالق المخلوقات للإنسانية بخلقه و من ثم بعثه الإنسان الكامل و النموذج الأعلى للعبودية، و بهذا أتمّ الحجّة على البشر، و جعل الكثير من العلامات الواضحة للحظة ولادة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم) السعيدة شواهد على هذه الحقيقة.

الرسول الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) الذي بشّرت بظهوره و رسالته الكتب السماوية السابقة، كان حتى قبل بعثته معروفاً بالمروءة و العفة و الصدق. فقد كان يعتبره الناس أميناً، و مثل هذه الصفة في ذلك العصر الذي سُمّي بحق عصرَ الجاهلية، إنما ينمّ عن منزلته السامقة (ص). و حين بُعث بالرسالة قال: **بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**.

هذا الوجود الوديع الذي قدّر الله له أن لا يكون تلميذ أيّ من المدارس المعروفة، و أن لا يتعلّم إلّا من المدرسة الإلهية و بواسطة الوحي الربّاني، صار أستاذ كل البشرية، يعلّمها دروس الأخلاق و الكرامة و الرحمة و الجهاد و العزة و المقاومة و المروءة و ...، و ليأخذ بيد الإنسانية الرازحة تحت نير الظلم و الجهل و الذلة إلى رحاب العلم و الحكمة و التزكية و الأخلاق و العدالة و الإنصاف، و لتتحقق المدينة الفاضلة لا في أفكار المفكرين و أخيلة الشعراء، بل على أرض الواقع من قبل الصالحين. و لذا فقد

كان صلى الله عليه و آله و سلم و سيبقى أستاذ كل الخصال الحميدة كالعدالة و الإنسانية و المعرفة و الأخوّة و الرشد و التكامل و التقدم البشري الدائم.

على الرغم من التقدّم المادي و الظاهري الهائل الذي لا يقبل الإنكار للبشرية في الحقبة المعاصرة، إلّا أنها للأسف لا تزال تعاني من الجاهلية بأشكال أعمق و أفجع. جاهلية حديثة و مزوّقة تستخدم أكثر الأدوات و وسائل الإعلام تطوّراً لمسخ كل الحقائق، و إخضاع أرواح البشر و أجسامهم لاستحمارها و استعمارها و استغلالها.

و من البديهي أن مثل هذه الجاهلية الحديثة هي العدو الرئيس للرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) و رسالته المنقذة. و لهذا اشتدت هجمات المستكبرين على شخصية خاتم المرسلين (ص) خلال العقود الأخيرة و خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران – التي عملت بالوصفة المنقذة للرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و نجحت في إضاءة قبس من الأمل في قلوب المسلمين، بل و كل المستضعفين المظلومين من قبل الاستكبار و الجاهلية الحديثة في العالم – و راحوا يطلقون أعمالاً و نتاجات مخزية على شكل روايات و أفلام و كاريكاتيرات و ... ضد هذه الشخصية المقدسة.

لكن التقدير الإلهي لا يزال يصدع مدوّياً: «**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متمّ نوره...**»، و حسب السنن الإلهية فإن هذه الوقاحات و الهجمات آتت نتائج عكسية، و هل أوضح شاهداً على ذلك من أن شوق الناس في مختلف البلدان و اندفاعهم للتعرّف على شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) الوضّاءة قد ازداد تضاعف، و الميول نحو الدين الإسلامي بين الشعوب الخاضعة للهيمنة، و حتى في البلدان المستكبرة نفسها، قد اشتدت باعتراف الأعداء و على الرغم من إرادتهم.

كل هذه الأحداث دلائل على تحقق الوعد الإلهي بأن الوصفة الكاملة لإنقاذ الإنسانية التي منّ الله تعالى بها على الإنسانية عبر بعثة خاتم الأنبياء و المرسلين (ص)، ستطبّق في يوم غير بعيد، و ليس في منطقة واحدة من الأرض بل في كل الأرض، و

ستقوم حكومة العدل الإسلامي على يد آخر المعصومين و الأئمة في مدرسة الإسلام العزيز، سيدنا الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).. إن شاء الله.

و من الله التوفيق

الآثار البليغة لمعرفة أبعاد شخصية النبي الأكرم (ص) و سيرته

كان وجود نبيّ الإسلام المكرّم (صلى الله عليه و آله و سلم) أكبر رصيد للوحدة في جميع العصور الإسلامية، و يمكنه أن يكون كذلك اليوم أيضاً. ذلك أن اعتقاد جميع المسلمين بهذا الوجود الأقدس الجليل ممتزج بالعواطف و الحبّ. من هنا كان عليه و آله أفضل الصلاة و السلام قطباً و محوراً لعواطف كل المسلمين وعقائدهم، و هذه المحورية من أسباب الأنس بين قلوب المسلمين و تقريب الفرق الإسلامية من بعضها.

ليس بوسع أي إنسان إن يشرح أبعاد شخصية النبيّ الأكرم (ص) بشكل كامل، أو عرض صورة لشخصية هذا الإنسان العظيم تكون حتى قريبة من الواقع. كل ما عرفناه على امتداد التاريخ حول سيد الرسل و الأنبياء و من اختاره ربّ العالمين، إنما هو ظل لذلك الوجود المعنوي الجليل. على أن هذا القدر من المعرفة يكفي المسلمين أولاً لضمان مسيرتهم نحو الكمال، و لكي يجعلوا قمّة الإنسانية و ذروة الكمال البشري نصب أعينهم. و ثانياً ليشجّعهم و يدفعهم نحو الوحدة الإسلامية و الاجتماع حول ذلك المحور. و بالتالي فإن توصيتنا لكل المسلمين في العالم هو العمل بكثرة على أبعاد شخصية الرسول الأكرم (ص) و حياته و سيرته و أخلاقه و تعاليمه المأثورة و المنصوصة عنه.

بعد فترة القرون الوسطى في العالم الغربي و المسيحي حيث شنّت غارات إعلامية واسعة على شخصية الرسول الأكرم (ص)، و أدرك أعداء الإسلام الألدّاء أن أحد أساليب العمل ضد الإسلام هو النيل من شخصية نبيّ الإسلام المكرّم (صلى الله عليه

و آله و سلم)، و قد أنجزوا على هذا الصعيد الكثير من الأعمال، و إلى اليوم حيث يعمل العدو بشكل مستمر و أساليب مختلفة على تشويه شخصية الرسول الأعظم (ص) في أذهان الأحرار في العالم، ثمة الكثير من الناس في العالم لو عُرض عليهم رسول الإسلام (ص) و عرفوه كما يعرفه المسلمون، أو حتى أقل من ذلك – أي لو لاح لهم حتى بصيص خفيف من وجهه المشرق النيّر و أضاء قلوبهم – لأمكن ضمان اعتقادهم و ميلهم نحو الإسلام و المعنوية الإسلامية. علينا أن نعمل على هذا الجانب و نبذل من أجله الجهود.

ضرورة العمل الواسع و الشامل لتعريف أبعاد شخصية الرسوم الأعظم (ص)

ربما كانت أكبر دعاية و إعلام للإسلام هو أن نوضّح و نشرح شخصية رسول الإسلام (ص) للباحثين عن الحقيقة في العالم. و من المناسب جداً أن يبادر المسلمون الفنانون و المطلعون المتمرّسون بالأساليب المختلفة الدارجة في العالم، و قبل أن يعمد الأعداء و المعارضون بأساليبهم الثقافية و الفنية المعقدة لتشويه وجهه النيّر (صلى الله عليه و آله و سلم) في أذهان الناس غير المطلعين في العالم، أقول من المناسب أن يبادر المسلمون للعمل العلمي و الثقافي و الفني و الإعلامي و البيان و التبليغ و الشرح بخصوص تلك الشخصية العظيمة المكرّمة.. هذه أعمال و مهام ضرورية.

علينا العمل في مجال تعريف شخصية الرسول الأكرم (ص)، و شخصيته الجليلة هنا لا تعني فقط حياته، إنما المراد الأبعاد المتنوعة لهذا الإنسان الكبير نظير أخلاقه و أسلوبه في الحكم و رعايته للناس و عبادته و سياسيته و جهاده و تعليماته الخاصة، و لا نكتفي بكتابة الكتب فقط، إنما يتحتّم أن نبدأ بأعمال فنية و إعلامية ذات أساليب جديدة و باستخدام التقنيات العصرية الشائعة، و ليس في الجمهورية الإسلامية و حسب، بل في كل أنحاء العالم الإسلامي.[1]

---

١. من كلمته في لقائه ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية و رجال الدين و المسؤولين و أئمة الجمعة و الإخوة من أهل السنة و الشيعة في محافظات كردستان و كرمانشاه و لفيف من شتى شرائح الشعب من أهالي قزوين و مباركة و سرخه و خواف بتاريخ ١٩٨٩/١٠/١٦ م.

المهم هو أننا باعتبارنا سائرين على طريق أولئك الشخصيات الكبيرة و مواصلين لدربهم – أو هذا هو على الأقل ادعاؤنا و الناس في العالم تعرفنا بهذا الادعاء – يجب أن نحاول إيجاد الأبعاد المختلفة لتلك الشخصيات العظيمة الإلهية في وجودنا و شخصياتنا – و لو على نحو ضعيف يسير – و إحياءها. لا يكفي أن يكون المجاهدون في سبيل الله و المكافحون في سبيل سيادة الإسلام مهمومين فقط ببناء المجتمع و النظام الإسلامي – رغم أن هذا واجب أعلى و كبير، و ربما كان الواجب الأهم و الأكبر على عاتق الإنسان المؤمن و المسلم – و لكن إلى جانب الجهاد و الكفاح من أجل توفير النظام الإسلامي و استكماله و انتصاره، لا بدّ من جهاد آخر، و ربما أصعب، هو إيجاد تحوّل و ثورة في وجودنا و قلوبنا و أرواحنا.[١]

أسلوب الرسول الأعظم (ص) في نشر القيم و الأخلاق الإسلامية في المجتمع

النقطة التي أروم الإشارة لها اليوم في حديثي عن حياة الرسول الأكرم (ص) هي أن رسول الإسلام، و من أجل تكريس القيم و الأخلاق الإسلامية في المجتمع بحيث تمتزج بأرواح الناس و عقيدتهم و حياتهم، كان يغمر أجواء الحياة بالقيم الإسلامية.

أحياناً يأمر أحد الناس أو يوصي بأن يتحلى الناس مثلاً بحسن الخلق و التجاوز و الصفح و الصبر و الاستقامة في سبيل الله، و أن لا يظلموا أحداً، بل ينشدوا إقامة العدل و القسط. أي إن الأمر هنا عبارة عن توصية و أمر و تعليم – و هو بالطبع عملية لازمة و كان رسول الإسلام (ص) يمارس التعليم، و **يعلمهم**،[٢] و يعطي الناس دروساً في المعرفة و الحياة – و لكن أحياناً تكون القضية فوق التعليم، أي إن المعلم يفعل و يسلك سلوكاً من شأنه أن يجعل هذه الأخلاق و الواجبات الإسلامية ثابتة راسخة في المجتمع، و يثور على المعتقدات الخاطئة للناس، و يكافح ضد المشاعر

---

١. من كلمته في لقائه لفيفاً من رجال الدين و أئمة الجمعة و الجماعة و مسؤولي الأجهزة الإدارية و المؤسسات الثورية و القضائية، و عدد من نواب مجلس الشورى الإسلامي، و قادة القوات المسلحة بمناسبة ولادة سيد البشرية الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع) بتاريخ ١٩٨٩/١٠/١٨ م.

٢. سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

الجاهلية و ترسّبات الأخلاق غير الإسلامية، و يوقع صدمات على المجتمع و الناس، و يفعل في الأوقات المناسبة و بأساليب مناسبة ما يجعل أجواء المجتمع و بيئة حياة الناس ممتزجة تماماً بتلك الصفات و الأخلاق و الأساليب الإيجابية.

نماذج من أسلوب الرسول (ص) لتوفير الأجواء الإسلامية في المجتمع

إذا أراد المجتمع أن ينمو و يرشد و يتحلى بالأخلاق الإسلامية الصحيحة فهو بحاجة لهذا الأسلوب. ربما كان المراد من التزكية في الآيات التي وردت فيها كلمة «**يزكّيهم**» بعد كلمة «**يعلمهم**»[1] أو قبلها، ربما كان المراد منها هو هذه الفكرة. أي تطهير الناس و تنقيتهم و تهذيبهم، كما يفعل الطبيب الذي لا يكتفي بأن يقول لمريضه: إفعل كذا و لا تفعل كذا، إنما يضعه في مكان خاص و يعطيه ما يلزمه، و يغذّيه بما يجب، و يمنع عنه ما يضرّه. و قد سار رسول الإسلام الأكرم (ص) طوال ثلاثة و عشرين عاماً من نبوّته على مثل هذا المنهج و الوضع، و خصوصاً في الأعوام العشرة التي كانها في المدينة و خلال فترة حكم الإسلام و تأسيس الحكومة الإسلامية.

لقد أعددتُ عدة أمثلة و نماذج لأطرحها، و هي مهمة جداً لنا حالياً في النظام الإسلامي، و كذلك لكل واحد من أبناء الشعب، و خصوصاً للمسؤولين و الذين يتعاملون مع جماعة من الناس، و ينظر الناس لهم و لما يقولونه و يصغون لأقوالهم. علينا أن نتنبّه إلى أننا إذا أردنا أن نتحرّر و نبعد أنفسنا عن ترسّبات و مخلفات أخلاق عهد الطاغوت — و هي مضرة جداً بالنسبة لرشدنا و رفعتنا — فلا سبيل أمامنا سوى أن نعمل في حياتنا بمناهج و أساليب رسول الإسلام الكريم بكل شجاعة و حسم.

أحد الأمثلة يتعلق بتوفير أجواء سليمة بعيدة عن العصبيات الجاهلية في بيئة حياة الناس. تعلمون أن كل الشعوب على هذه الشاكلة و هذا هو وضعها، باستثناء أفراد لهم مستويات معرفية عالية، بمعنى أن الشعوب لها عصبياتها و أغراضها و أمراضها و أحقادها و ما شاكل من الأمور التي تسود حياتها و تصدّ الناس عن السلوكيات الحقة العادلة، و تجعل الأجواء غير سليمة.

---

١. سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

١ – إشـــــاعة حســن الظــن و اجتنــاب ســوء الظن و التحامل

يجب جعل هذه الأجواء سليمة، و من أجل جعل الأجواء سليمة و إفشاء حسن الظن و التفاؤل بين الناس، كان لرسول الإسلام الأكرم (ص) ما عدا توصياته، أساليبه التي استخدمها خصوصاً في الفترة التي كانت هذه القضية تمتاز بأهمية عالية. ذلك أن العرب الجاهليين كانوا في ما بينهم ذوي أحقاد و سوء ظن كبير و عصبيات قبلية و عائلية شديدة، و كان على النبيّ الأكرم (ص) أن ينتزع هذه الأشياء من قلوب المؤمنين، و يجعل أفئدتهم تجاه بعضهم طاهرة نقية ناصعة.

ثمة رواية عن الرسول الأكرم تقول: «**لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحبّ أن أخرج إليكم و أنا سليم الصدر**».[1] كانوا يأتون إلى النبيّ الأكرم (ص) و يذكر بعضهم بعضاً بسوء و يتحدثون ضد بعضهم، و قد يكون الكلام أحياناً صحيحاً و أحياناً غير صحيح و بخلاف الواقع. فقال الرسول الأكرم (ص) للناس: لا يحدثني أحد بشيء حول أصحابي. أي لا تكثروا قول السوء عن بعضكم عندي، فأنا أرغب حينما أظهر بين الناس و أكون في أوساطهم و بين أصحابي سليم الصدر، أي أنْ أعيش بينهم بصدر نقيّ طاهر ليس فيه أية سوابق و سوء ظن و ذهنيات سلبية.

هذا كلام عن الرسول و أمر منه للمسلمين. لاحظوا كم يساعد سلوك الرسول الأكرم (ص) على أن يشعر المسلمون أن من الضروري أن يتعامل الأفراد في ما بينهم في المجتمع و المناخ الإسلامي من دون سوء ظن و سوء طويّة، و بحسن ظن و صدر سليم. في الروايات أنه حينما يكون الشر و الفساد هما السائدان شكّوا و ارتابوا في كل شيء، و لكن حينما تكون السيادة في المجتمع للخير و الصلاح اتركوا سوء الظن و أحسنوا الظن ببعضكم، و تقبلوا كلام بعضكم بعين القبول و لا تنظروا لمساوئ بعضكم، بل شاهدوا الإيجابيات و الحسنات.

كان المسلمون يأتون للرسول و يتحدثون له ببعض الأمور همساً و بشكل سرّي لا

---

١. مكارم الأخلاق، ص ١٧ .

يسمعه الآخرون، أو ما يشبه النجوى الخفيّة، فنزلت آية كريمة منعت الناس من التحدث همساً و نجوى في أذن الرسول، لأن ذلك يخلق حالات من سوء ظن و ذهنيات سلبية بين المسلمين.

إشارة إلى إشاعة حول إحدى نساء الرسول الأكرم (ص)

الخاطرة أو الحادثة المهمة جداً ضمن هذا السياق و التي راجعتها مراراً في ذهني، و راجعت آياتها في القرآن الكريم، هي حادثة الإفك. ثمة في سورة النور عدة آيات تتعلق بهذه الحادثة. و حادثة الإفك باختصار هي أن إحدى زوجات النبيّ الأكرم (ص) تأخّرت عن القافلة في إحدى الغزوات. كان الرسول قد أخذها معه إلى ساحة الحرب، و حينما كانوا في طريق العودة لم يجدوها. و مهما كان السبب سواء كان النوم قد غلبها أو ذهبت لحاجة لها. فجأة وجد المسلمون أن زوجة الرسول الأكرم (ص) ليست معهم. و ظهر رجل من المسلمين و جاء بزوجة الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة.

و ثمة اختلاف بين أهل السنة و الشيعة في أيّ زوجات الرسول (ص) كانت التي وقعت لها هذه الحادثة. يقول الشيعة في رواياتهم إنها «ماريّة القبطيّة»، و أهل السنة يقولون إنها «عائشة». و هذه المسألة نقاش تحريفي في يومنا هذا أنْ نتجادل في أيّ نساء النبيّ كانت. ليست المسألة أساساً إننا نريد أن نعرف أيّ نساء الرسول (ص) نزلت تلك الآيات القرآنية بشأن ما تعرّضت له من اتهام. القضية قضية ثانية تتضمن أمراً و دستوراً أخلاقياً و اجتماعاً على جانب كبير من الأهمية.

الردّ القرآني الشديد على مروّجي الإشاعات و مستمعيها

بعد أن عادت هذه المخدّرة إلى المدينة المنوّرة، طفق بعض ذوي الألسن المنفلتة البذيئة يهمسون بين الناس و يتساءلون: أين كانت هذه المرأة، و لماذا تأخّرت، و من كان هذا الذي عاد بها؟! من دون أن يصرّحوا بشيء و يوجّهوا تهمة محدّدة، إنما بثوا بين الناس همسات و إشاعات.

ليست القضية أن تلك المخدّرة زوجة النبي (ص) و ينبغي احترامها، إنما القضية في

القرآن شيء آخر. الآيات في سورة النور حول «الإفك»، أي الكلام الكاذب الذي أشاعه المنافقون و سيّئو الطويّة و الأشخاص غير النزيهين في المجتمع. و تبدي الآيات القرآنية الكريمة أشدّ الحساسية، و ثمة عدد من الآيات المتلاحقة تخاطب المسلمين بلهجة شديدة و تقول لهم: لماذا حين سمعتم هذه الشائعة لم تواجهوا قائلها بشدة — و هذا ما يستفاد من الآيات الكريمة — و لماذا لم تنكروا هذه الإشاعة بكل حسم.

في هذه الآية هناك جملتان تبدآن بتعبير «**لو لا**». و العارفون بالأدب العربي يعلمون أن «لو لا» التحذيرية تستخدم عندما يريد المرء أن يقول لمخاطبه بكل شدة و توبيخ: لماذا لم تفعل كذا؟ «**لو لا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً و قالوا هذا إفك مبين**».[١] أنتم أيها المسلمون (المؤمنون و المؤمنات) لماذا عندما سمعتم هذه الشائعة لم تحسنوا الظن ببعضكم و لم تقولوا بكل حسم إن هذا كذب؟ و يقول في موضع آخر: «**و لو لا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**».[٢] حينما سمعتم هذه الإشاعة لماذا لم تقولوا إنه ليس من حقنا أن نكرّرها، فهي بهتان عظيم؟

ثم يقول في آخر الآيات: «**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين**».[٣] أي إن الله تعالى يعظكم و ينصحكم بأن لا تحوموا أبداً حول مثل هذه الإشاعات، و أن لا تقع في المجتمع الإسلامي مثل هذه الحادثة بعد اليوم، إن كنتم مؤمنين. أي إن هذا هو شرط الإيمان.

جزاء التهمة في الفقه الإسلامي

و كما أشرت، ليست القضية أن هذه المرأة زوجة النبي الأكرم (ص). حتى لو لم تكن زوجة الرسول لكان نفس هذا العتاب و الخطاب و التكليف على المؤمنين. لذا نجد في الإسلام أنه لو اتهم شخص شخصاً آخر ببعض التهم الخاصة، و لم يستطع

---

١. سورة النور، الآية ١٢ .

٢. سورة النور، الآية ١٦ .

٣. سورة النور، الآية ١٧ .

إثباتها بأربعة شهود عدول، فإن المتّهم نفسه سيُدان و يجري عليه الحدّ. ليس من حقكم إطلاق كلام هكذا على عواهنه في الهواء فتشوبون الأذهان و تقلقون القلوب و تؤذوها، و إذا استطعتم أن تثبتوه أثبتموه، و إن لم تستطيعوا إثباته فستذهبون إلى سبيل حالكم! لا، إذا لم تستطيعوا إثبات بعض التهم التي يستحق المجرم فيها الحدّ، فإنكم سوف تعاقبون بسبب توجيهكم التهمة، و يجري عليكم الحدّ.

اعتقد أن هذا حدث عظيم في تاريخ الإسلام و عصر الرسول الأكرم (ص) تمّ من خلاله استئصال جذور بث الإشاعات حول القضايا الشخصية للأفراد في البيئة الإسلامية، و هي إشاعات تسبّب حالات من سوء الظن و عدم الثقة بين البعض و البعض، و تجعل الأجواء الاجتماعية غير سليمة. هكذا هو الإسلام. إذن، من ممارسات الرسول الأكرم (ص) أن يجعل أجواء المجتمع أجواء عاطفية زاخرة بالمحبة و العطف و الرحمة، حتى يتحابب كل الناس فيها تجاه بعضهم، و ينظر بعضهم لبعض بعين حسن الظن و الثقة. و هذا هو واجبنا اليوم أيضاً.

و حالة أو نموذج آخر من مساعي الرسول الكريم (ص) لصناعة أجواء طيبة هو أنه ينزع من قلوب الناس العداوات و الأحقاد. في الحالة السابقة كان الأمر يتعلق بإيجاد حسن الظن و الأجواء السليمة، و لكن الحالة هنا فوق تلك. أي إن المسلمين في المجتمع الإسلامي يجب أن لا يكونوا غير آبهين و لاأباليين بعضهم تجاه بعض. ليس من المقبول و المستحسن في الإسلام أن لا يكون للمسلمين شأن ببعضهم، و يكون لكل واحد منهم عالمه الخاص المنفصل، و لا تربطه أية مسائل بباقي المسلمين. و قد كان أحد فصول حياة الرسول الأكرم (ص) تبديل مناخ عدم الاكتراث و اللاأبالية هذا إلى أجواء محبة و تعاون و أخوّة، و خلق منظومة من التعاون في ما بين المسلمين. و هذا ما نحتاج إليه اليوم في نظامنا.

٢ – تنمية الشعور المسؤولية لدى المسلمين بعضهم تجاه بعض

يجب أن يكون للمسلمين بعضهم ببعض علاقاتهم الودّية المخلصة بعيداً عن أية لاأبالية. لا يكون الأمر بحيث لو علمتم أن مسلماً يعاني من حدث معين تمرّون به مرّ الكرام. لا، التعاون و التعاطف و الإخلاص و المحبّة المتبادلة بين المسلمين من الأمور الكبيرة التي قام بها الرسول الأكرم (ص). لم يكن عليه و آله الصلاة و السلام في حدود تواجده و إمكانياته يسمح بأن يحمل المسلمون في المجتمع الإسلامي البغضاء و الأحقاد و العداوة ضد أحد، حتى لو كانت حالة واحدة. أي إن الرسول الأكرم (ص) بحكمته و حلمه يوجد بحق بيئة طيبة سليمة مليئة بالمحبة.

يروى أن أعرابياً بدوياً – لم يكن على معرفة بالتحضّر و التمدّن و آداب المعاشرة و الأخلاق الدارجة في الحياة – جاء بخشونته و شدّته الصحراوية إلى المدينة، و التقى بالرسول الأعظم (ص). و كان الرسول بين أصحابه في المسجد أو في أحد الطرق. و طلب شيئاً من الرسول فساعده الرسول، و ربما أعطاه مالاً أو طعاماً أو ثياباً. و بعد أن وهبه هذه الأشياء سأله: هل هذا حسن؟ و هل بررت بك؟ و هل أنت راضٍ الآن؟ فقال له الرجل بسبب عنفه البدوي و صراحته و عدم مجاملاته، و لأن مساعدة الرسول بدت في عينه قليلة، قال: لا، فأنت لم تفعل شيئاً و لم تصنع لي أي جميل، و لم يكن هذا أصلاً بشيء أعطيته لي!

و بالطبع فإن مثل هذا التعامل العنيف مع الرسول (ص) يبعث في قلوب أصحابه شعوراً جد سيّئ و ثقيل. فغضب الجميع، و أراد بعض الأشخاص المحيطين بالرسول أن يردّوا على هذا الأعرابي بغضب و شدّة، لكن الرسول الكريم (ص) قال لهم: لا، لا شأن لكم به، و أنا سأعالج الأمر معه. و خرج من بين أصحابه و أخذ هذا الأعرابي معه إلى بيته. و يتضح أن النبي العظيم لم يكن لديه هناك شيء و إلا لأعطاه أكثر. فأخذه إلى بيته و أعطاه هناك المزيد من الطعام مثلاً أو الثياب أو المال. ثم قال له: هل رضيت الآن؟ فقال الرجل: نعم. و خجل من إحسان الرسول و حلمه، و أبدى رضاه.

فقال له الرسول الأكرم (ص): قبل هنيئة قلت لي أمام أصحابي كلاماً جعلهم

يسخطون عليك. فهل تحبّ أن نذهب الآن إليهم و تبدي أمامهم ما أبديته الآن من رضا و طيب خاطر؟ فقال الرجل: نعم. فأخذه الرسول الأكرم (ص) في المساء أو اليوم التالي إلى أصحابه و قال: أخونا الأعرابي هذا يظن أنه راضٍ عنا، فإن كنت راض عنا قل ذلك. فانبرى الرجل يمدح الرسول (ص) و قال: نعم، أنا مسرور و راض و أشكر الرسول الأكرم – أو قال شيئاً من هذا القبيل – لأنه أبدى لي الودّ و الطيب. قال الرجل هذا و انصرف.

و بعد أن غادر الرجل قال الرسول الأكرم (ص) لأصحابه إن مثل هذا الأعرابي كمثل ناقة نفرت من قطيعها و راعيها و هامت على وجهها في الصحراء. و أنتم أصحابي من أجل أن تمسكوا بهذه الناقة و تعيدوها تهجمون عليها و تطاردونها من كل صوب. و فعلكم هذا يزيد من نفورها و خوفها و يصعّب الإمساك بها، فلم أتركك تنفّروها أكثر مما نفرت. تعاملت معه بالمحبة و المداراة و أعدته إلى جماعتنا. هذا هو أسلوب الرسول الأعظم (ص).

لا يريد الرسول الأكرم أن تكون هناك أدنى أحقاد و عداوات بين المسلمين في بيئة الحياة الاجتماعية. كان يسعى دوماً لإفشاء المحبّة و الصميمية بين الناس. حتى عندما اتسعت دائرة الإسلام و فتح صلوات الله و سلامه عليه و آله مكة عفا عن أهالي تلك المدينة. و قد كان أهل المكة هم من طردوا الرسول (ص) منها، و تجرّع الرسول منهم طوال ثلاثة عشر عاماً الأمرّين و المحن العظام. ثم كانت له معهم عدة حروب قتل فيها الكثير من المسلمين، و قتل المسلمون في المقابل بعض أهل مكة. و لو تقرّر أن يستضيفوا جيش رسول الله (ص) الفاتح بهذه الطريقة لما كان بالإمكان تكريس الصلح و الوئام معهم لسنين طوال. لذا بمجرد أن دخل الرسول الأكرم (ص) مكّة أعلن إعلاناً عاماً فقال: «**أنتم الطلقاء**»،[1] أي إنكم جميعاً أحرار و قد عفوت عنكم. عفا الرسول الكريم (ص) عن قريش و انتهى الأمر.

---

١. بحار الأنوار، ج ٩٧ ، ص ٥٩ .

عهد التآخي الذي أقامه الرسول الأكرم (ص) بين المسلمين

من الأعمال التي قام بها الرسول العظيم (ص) في الشهور الأولى لدخوله المدينة المنورة إعلان الأخوة بين المسلمين. أي إنه آخى بين المسلمين. أنْ نقول إننا إخوة في الإسلام فليس هذا من باب المجاملات. أي إن المسلمين لهم على بعضهم حقوق الأخوّة فعلاً. كما أن الإخوة لهم على بعضهم حقوق و يجب أن يأدّوا حقوقهم المتقابلة تجاه بعضهم، آخى الرسول الأعظم (ص) بين المسلمين و طبّق هذه الأخوّة عملياً.

آخى صلى الله عليه و آله و سلم المسلمين إثنين إثنين، و لم يراع في هذا الطبقات و العوائل و الأشراف من المدينة و قريش. آخى بين عبد أسود و شخصية كبرى، و بين طليق و أحد الأشراف المعروفين من بني هاشم أو قريش. على كل حال كانت لهذه المؤاخاة أبعاد مختلفة من أهمها أن المسلمين شعروا تجاه بعضهم بالأخوّة.

٣ – الإفشاء العملي لروح التضحية و عرفان الجميل بين المسلمين

و أسوق مثالاً آخر لنرى كيف أن الرسول الأعظم (ص) غمر مناخ المجتمع بالقيم الإسلامية. المهم في الإسلام – بغضّ النظر عن المعتقدات و الأذواق السياسية و الخطوط و التيارات و الارتباطات و باقي الأمور – روح الوفاء و عرفان الجميل و شكر الجهود و الخدمات التي يقوم بها الأفراد. فهذه الأمور مؤثرة جداً في سلامة المجتمع، و قد شدّد عليها الرسول الأكرم (ص) عملياً كل تشديد. لم يكتف الرسول باللسان و القول و التوصية أن يعرف الناس لبعضهم الجميل، إنما أشاع عملياً هذه الأجواء في المجتمع.

وجدتُ في الحديث أن وفداً من قبل النجاشي – ملك الحبشة – جاء للرسول (ص) إلى المدينة، و من المفترض أنه كان يحمل رسالة للرسول، كما هو الدارج بين الدول. كان النجاشي ملكاً في الحبشة، و كان كالكثير من السلاطين و الأمراء في العالم آنذاك مسيحياً و ليس مسلماً. و لكن حين جاء وفد النجاشي من الحبشة قام الرسول (ص) بنفسه من مكانه و راح يضيف ذلك الوفد. فقال له أصحابه: يا رسول الله نحن نكفيك فاسمح لنا أن نضيّفهم نحن. فقال: لا.. يوم هاجر المسلمون إلى الحبشة

احترم ملكها المسلمين و كرّمهم، و أريد أن أقابله بالمثل. هذا هو عرفان الجميل.

لذلك تلاحظون أن الرسول الأكرم (ص) في حياته، رغم ما كان له من الحروب مع كفار قريش، و قد كانت له بعض الحروب مع امبراطورية الروم الشرقية — التي كانت تسيطر إذ ذاك على منطقة الشامات و فلسطين — و قد كانت للمسلمين حروب في اليرموك و مؤتة و تبوك، و كان هناك جهاد و فتوحات في تلك الأنحاء، إلا أنه لم يبعث أية جيوش إلى الحبشة و تلك الأنحاء.

لم يكن الأمر بحيث يحارب النبيّ أي ملك لا يتقبّل الإيمان الإسلامي. لا.. كان هناك عرفان جميل و شكر مودّة للنجاشي في عهد الحكومة الإسلامية و حينما كان الرسول الأكرم قائد النظام الإسلامي. و الأمثلة من هذا القبيل كثيرة في حياة الرسول الأعظم (ص)، و لو أردنا ذكرها جميعاً لطال بنا المقام.

و لأذكر مثالاً آخر. في فترة الحكم الإسلامي جاءت امرأة للقاء الرسول الأكرم (ص) في المدينة المنورة. و رأى الأصحاب أن رسول الله (ص) يكرّم هذه المرأة تكريماً كبيراً و يسألها عن حالها و حال أسرتها، و يتعامل معها بمنتهى المحبّة و الصميمية. و بعد أن غادرت المرأة قال الرسول ليرفع استغراب أصحابه إن هذه المرأة كانت تتردّد على بيتنا في زمن خديجة (زمن القمع و الشدة في مكة). يبدو أنه في الوقت الذي حاصر فيه الجميع أصحاب الرسول فلم يكن بإمكانهم زيارة السيدة خديجة (سلام الله عليها) زوجة الرسول الأعظم، كانت هذه المرأة تتردد على خديجة. و لم تذكر الرواية أن هذه المرأة قد أسلمت. لا.. من المحتمل أن هذه المرأة لم تكن قد أسلمت في ذلك الحين، و لكن لمجرد أنه كانت لها في الماضي مثل هذه الميزة و أبدت تجاه خديجة محبة و صميمية فقد عرف الرسول الأكرم (ص) لها هذا الجميل بعد ذلك بسنوات.

و نموذج آخر هو توفير أجواء العمل و السعي و الكدّ في المجتمع، حيث لم يكتف الرسول الأكرم (ص) بالأمر بأن يسعى الناس و يجدّوا، إنما كان يُحيي روح العمل و الجدّ لدى الناس بأساليب مختلفة، و أحياناً حينما يشاهد شاباً عاطلاً عن العمل يقول: «**إن الله لا يحبّ الشاب الفارغ**».

و في رواية إن رسول الله (ص) عندما كان يرى شاباً تعجبه سلامته و قوته و شبابه، كان يسأله سؤالين: هل أنت متزوج و هل تعمل أم لا؟ و إذا أجاب الشاب بأني لم أتزوج و لا أعمل، كان الرسول يقول: «**سقط من عيني**». بهذه الأساليب كان ينبّه الناس لأهمية العمل و الجدّ و السعي.

ذات مرة جاء نفر من الناس للرسول الأكرم (ص)، و مدحوا شخصاً فقالوا: يا رسول الله، لقد كنا مع هذا الرجل في سفر و وجدناه جد صالح و طاهر و ذاكر لله.. يعبد الله دوماً، و أين ما نزلنا ينشغل بالصلاة و الذكر و القرآن و ما شاكل، من لحظة نزولنا إلى حين مسيرنا مرة أخرى. و حين مدحوه بهذا المديح سألهم الرسول الأكرم (ص) مستغرباً: إذن، من كان يقوم بأعماله و شؤونه؟ الذي حين ينزل ينشغل دوماً بالصلاة و القرآن فمن يطبخ له طعامه؟ و من يُنزل أحماله و يُركِبها؟ و من يقوم بأعماله و ينجز شؤونه؟ فقالوا: يا رسول الله، إننا كنّا نقوم له بكل أعماله بكل رغبة و حبّ. فقال الرسول الكريم: «**كلكم خير منه**».[1] أن لا يقوم الرجل بأعماله و يُلقيها على عاتق الآخرين و يشتغل بالعبادة فهذا لا يجعل منه رجلاً صالحاً. الرجال الصالحون هم أنتم الذين تعملون و تجدّون، بل و تأخذون على عاتقكم مهام الآخرين و أعمالهم.

كان الرسول الأكرم (ص) بهذه الأساليب يغمر أجواء الحياة الاجتماعية الإسلامية بحبّ العمل و الجدّ و السعي. و كل هذه الأمور التي طرحتها هي اليوم مما نحتاجه.[2]

بعثة الرسول الأكرم (ص) أهم أحداث التاريخ الإنساني و أكثرها تأثيراً

مسألة البعثة، و ظهور هذا الحدث الإلهي، أهم مسألة وقعت للبشرية على امتداد عمرها الطويل. لم تكن هناك حادثة مؤثرة في مصير الإنسان و تاريخ البشرية بقدر هذه الحادثة، و ما من لطف من قبل الله تعالى أنزله على البشر بعظمة هذا اللطف و الفضل. إننا نفخر لأننا نؤمن من أعماقنا بهذه البعثة العظيمة، و قد عرفنا طريق السعادة هذا. هذه بحدّ ذاتها نعمة إلهية عظيمة، و من واجب كل مسلم تحقيق البعثة

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٣ ، ص ٢٧٤ ؛ مكارم الأخلاق، ص ٢٦٥ .

٢. من خطبتي صلاة الجمعة بطهران بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٠ م.

النبوية في حياته الشخصية و دنياه، و الإيمان و العمل و الحركة نحو الأهداف الكامنة في بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) ليصل إلى جنّة السعادة الإلهية و المعنوية. طبعاً، نحن لا نستطيع أن نقول شيئاً في معنى البعثة و حقيقتها. فهذه الحقيقة فوق أذهاننا و خارج متناول عقولنا القاصرة.

أمران مهمّان في البعثة بالنسبة للمسلمين في الزمن الحاضر

المطروح بالنسبة لمسلمي العالم حالياً في خصوص البعثة هو أمران:

الأمر الأول هو أن هذه البعثة و الينبوع لا يزال متدفقاً، و أن هذا الفضل و البركة الإلهية مستمرة على البشرية طوال التاريخ، و كما وعد الله تعالى مراراً في القرآن الكريم فإن ظهور هذه الحقيقة هو من أجل سيادتها على حياة البشرية و تلوين الحياة بلونها. و هذه حقيقة سوف تتحقق: «**ليظهره على الدين كله**».[1]

١ – البعثة.. حقيقة طبيعية و حاسمة للإنسانية

قضية البعثة حقيقة طبيعية في هذا العالم، و حالة حتمية قطعية للبشرية. العدل و الحق الذي أطلق في العالم ببعثة الأنبياء (ص) لم يكن من أجل أن يؤمن به جماعة من الناس لبرهة معينة من الزمن، ثم لا يؤمن به شطر كبير من البشر طوال فترات تاريخية طويلة. إنما أطلق لبناء العالم و الإنسان حسب مقترحاته، و لأجل الأخذ بيد البشرية و كل الوجود – تبعاً للبشرية – إلى طريق الكمال، و هذا ما سوف يحصل، و إذا لم يحصل فهو نقض للغرض.

و بالطبع، فإن المسيرة نحو هذا الهدف مسيرة تحصل حسب شروطها و عللها و عواملها المناسبة لها. و نحن نسير نحو هذه الحقيقة، و كل خطوة تقطعها البشرية – شاءت ذلك أم أبت، و علمت بذلك أم لم تعلم – تقترب فيها من حقيقة البعثة.

المطروح في العالم اليوم هو البعثة الإلهية، رغم أنه لا يوجد عمل خلف تلك الشعارات. و مثال ذلك شعارات العدالة الاجتماعية و الحرية و التحرر و العلم و المعرفة و التقدم و الرقيّ و السمو و رفع مستوى الحياة و سائر الشعارات التي ترفعها الحكومات و الشعوب و أصحاب الفكر و المدارس و المذاهب المتنوعة. نفس وجود

---

١. سورة الفتح، الآية ٢٨ .

هذه الشعارات في الدنيا إنما كان بفضل بعثة الأنبياء و بعثة خاتمهم و آخرهم، و هذه الشعارات متوفرة للناس بشكل ناقص طبعاً و يسير البعض نحو تحقيقها.

إننا و كل البشرية اليوم نسير نحو التدين بمفاهيم و قيم هذه البعثة. و نحن في الجمهورية الإسلامية نفخر بأننا من البشر و الشعوب التي حققت و طبقت في حياتها شعارات الدين و العمل بالقرآن الكريم، و نسير نحو تحقيقها و تطبيقها بصورة كاملة. إننا نفخر بأننا عرفنا هذه الحقيقة و رأيناها و عشقناها و بدأنا المسيرة نحوها و تقدمنا على هذا السبيل إلى حد كبير. كل العالم و كل البشرية يجب أن تسير في هذا الطريق و سوف تسير فيه.

٢ – اسم الرسول الأكرم (ص) و ذكراه و محبّته و إكرامه.. المحور الرئيس لوحدة كل المسلمين

الأمر الثاني يتعلق بشخص الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). اسم هذا الإنسان العظيم و ذكراه و محبّته و حرمته و تكريمه محور أصلي لاجتماع كل المسلمين في كل العصور الإسلامية. ما من محور آخر في كل الدين تحظى هكذا و من كل النواحي – من النواحي العقلية و من النواحي العاطفية و من النواحي الروحية و المعنوية و الأخلاقية – بقبول و اتفاق و تفاهم كل الفرق الإسلامية و جميع المسلمين. هذه هي النقطة أو المحور المركزي.

القرآن الكريم و الكعبة و الفرائض و العقائد كلها مشتركة، لكن كل واحدة منها تجتذب إليها بعداً من شخصية الإنسان كالعقائد و المحبة و الميول الروحية و حالات التقليد و التشبّه و التخلق العملي. ثم أن معظم هذه الأمور التي ذكرت تتفاعل بين المسلمين على أساس تفاسير و تصورات متعددة، لكن ما يُجمع عليه كل المسلمين من الناحية الفكرية و العقيدية – و أهم من ذلك من الناحية العاطفية و الشعورية – و يتوحّدون حوله و يتفاهمون هو الكيان المقدس للرسول الخاتم و النبي الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم). ينبغي النظر لهذا المحور على أنه عظيم كبير. و ينبغي زيادة هذه المحبّة يوماً بعد يوم، و يجب تشديد و تعميق هذه الميول المعنوية و الروحية نحو هذا الكيان المقدس في أذهان المسلمين و كل الناس باستمرار.

تلاحظون في المؤامرات و الهجمات الثقافية على الإسلام أن من الجوانب المستهدفة

من قبل الأعداء هو الكيان المقدس و الجليل للرسول الأكرم (ص)، و الذي تعرّض للهجوم في كتاب «الآيات الشيطانية»، ما دلّ على المواطن التي تستهدفها مؤامرات الأعداء من منظومة المعتقدات و العواطف لدى الأمة الإسلامية.[١]

اقتران العاطفة و الإيمان في جاذبية اسم الرسول الأعظم (ص) و ذكراه

الاسم المقدس للرسول الأكرم (ص) من أكثر الظواهر الإسلامية جاذبية لدى كل المسلمين في العالم، إذ إن القضية هنا هي قضية العاطفة و الإيمان معاً. لذا فإن قوّة فاعلية هذه الذكرى و هذا الاسم بالنسبة للمسلمين أعظم من كثير من الظواهر الإسلامية الأخرى المعتمدة على الإيمان وحده، و التي لا دور للعواطف فيها. من هنا قال بعض المفكرين الكبار في العالم الإسلامي في العصور السابقة إن الاسم المقدس لهذا الإنسان العظيم و الإيمان به و ذكراه يمكنها أن تكون محوراً لوحدة المسلمين و اتحادهم عملياً. و هذا كلام صحيح. و لحسن الحظ فإن هذه المراسم اقترنت هذه السنة بالإعلان الرسمي عن تأسيس «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية» حيث عقد إخوتنا هممهم و بدأوا هذا العمل، و يجب أن يسير إن شاء الله باتجاه الأهداف الإسلامية العليا.

نقطتان أساسيتان في قضية الوحدة بين المسلمين

ثمة في قضية الوحدة نقطتان أو توجّهان أساسيان لكلّ منهما بمفرده أهمية بالغة. حينما نرفع شعار الوحدة ينبغي أن نتنبّه لهاتين النقطتين الأساسيتين، و هذا هو المفيد لحياة المسلمين العملية:

---

١. من كلمته في لقائه قرّاء القرآن من أربعين بلداً و عدداً من المكفوفين في ذكرى بعثة الرسول الأكرم (ص) بتاريخ ١٩٩٠/٠٢/٢٣ م.

١ – التغلب على الخلافات و النزاعات الناجمة عن تحريضات الأعداء

إحدى هاتين النقطتين هي رفع الاختلافات و التناقضات و الاشتباكات و التعارضات و المماحكات التي كانت منذ قرون و إلى اليوم بين طوائف المسلمين و فرقهم، و قد كانت دوماً في ضرر المسلمين. لو راجعنا تاريخ الإسلام لوجدنا أن مصدر كل هذه التعارضات و التناقضات أو معظمها هو الأجهزة المادية الحاكمة. لاحظوا تاريخ الإسلام و سترون أنه منذ الاختلافات الأولى نظير مسألة خلق القرآن إلى باقي الاختلافات التي ظهرت على مرّ الزمن بين الفرق الإسلامية و خصوصاً بين الشيعة و السنة في الكثير من الفترات التاريخية، كانت أزمّة الكثير من هذه الاختلافات بيد القوى المتسلطة.

و طبعاً كانت هناك تأثيرات للجهل العام و العصبيات غير المستندة إلى منطق، و إثارة المشاعر بين الطرفين. لكن هذه هي مجرى أرضية مسبقة، و لا تخلق أيّاً من الأحداث الدامية الكبرى التي نقرؤها في التاريخ. مردّ تلك الأحداث الكبرى لأجهزة أرباب السلطة التي تنشد مصالحها في هذه الاختلافات. و حينما دخل الاستعمار البلدان الإسلامية بشكل مباشر في بعض البلدان و بشكل غير مباشر في بلدان أخرى، تبيّن بوضوح أنه يرنو إلى إثارة هذه الخلافات.

سلوك بعض الشخصيات الأوربية المعروفة، سواء السياسية أو الثقافية، فيه الكثير من العبر. حين كانوا يذهبون إلى مصر يتحدثون بطريقة معينة، و حين يقصدون الباب العالي في الدولية العثمانية يتحدثون بطريقة معينة، و عندما يأتون إلى إيران الشيعية يتحدثون بطريقة أخرى. و هدفهم إفساد نظام الوحدة الذي كان الاستعمار الأوربي و زعماء الحضارة الصناعية يخافونه، و كانوا على حق في خوفهم هذا. و قد فعلوا فعلهم و أوجدوا اختلافات عميقة و عجيبة بين المسلمين.

الوحدة التي نعلنها و نرفع شعارها و نتوق إليها و نتابعها و نعمل من أجلها نقطتها الأولى يجب أن تتركّز على رفع هذه التعارضات و التناقضات و الخلافات و الاشتباكات، و هذا ما يرضاه الله تعالى و المؤمنون المخلصون و الأولياء و العقلاء.

يجب التمهيد لمقدمات هذه العملية و أرضيّاتها. ثمة اختلافات عقيدية بين المسلمين، فلتكن. و ثمة تنوّعات قومية فيهم، فلتكن. و هناك تغاير عرقي بينهم، فليكن. يجب أن لا يدعو كل هذا للتنافس و التعارض و الاشتباكات و الجدال بين المسلمين. على الجميع أن يعملوا بإخلاص. و على العلماء الكبار و المفكرين و المستنيرين و الكتّاب و الشعراء و الفنانين أن يعتبروا هذا الأمر من واجبهم حقاً. الآية القرآنية الشريفة: «**و اعتصموا بحبل الله جميعاً**»،[1] و آيات قرآنية أخرى إنما تخاطبنا و كل المسلمين مقابل أعداء الإسلام. لنعمل بهذه الآيات.

٢ – توجيه وحدة المسلمين نحو سيادة الإسلام في المجتمع و العالم

النقطة الثانية هي أن هذه الوحدة يجب أن تصبّ في خدمة و لصالح سيادة الإسلام، و إلا كانت عبثية و بلا معنى. إذا كان علماء الإسلام يؤمنون بأن القرآن الكريم قال: «**و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**»،[2] و أن الرسول الأكرم (ص) لم يبعث لمجرد أن ينصح و يتكلم و يعمل الناس بما بدى لهم، و ما عليهم إلا تقديم الاحترامات له، إنما جاء ليطاع، و يوجّه المجتمع و الحياة، و يشكل نظاماً و يقود البشر نحو أهداف الحياة الصحيحة، و إذا كان علماء المسلمين يؤمنون أن القرآن الكريم يقول: «**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط**»،[3] و أن إقامة القسط و العدل و رفع الظلم و توفير حياة سليمة للبشر هو هدف الأديان، إذن، يجب أن تكون المسيرة نحو سيادة الإسلام في البلدان و المجتمعات الإسلامية، و هذا أمر ممكن.[4]

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

٢. سورة النساء، الآية ٦٤ .

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

٤. من كلمته في لقائه بمسؤولي البلاد و ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٠٨ م.

الإسلام وصفة علاج لكل عصور الحياة الإنسانية

حدث البعثة العظيم، و على الرغم من مرور قرون متوالية و آراء المفكرين و العلماء في العالم عنه، لا يزال جديراً بكل تدقيق و تأمّل من جوانب مختلفة. بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلّم) حركة هائلة في تاريخ البشرية، و على سبيل إنقاذ البشر و تهذيب النفوس و الأرواح و الأخلاق، و مواجهة المشكلات و المصائب التي واجهتها الإنسانية في كل أطوارها و أحقابها، و لا تزال تواجهها. كل الأديان عارضت الشرور و الفساد و رسمت الصراط المستقيم نحو الأهداف العليا، لكن الدين الإسلامي المقدس يمتاز بأنه وصفة دائمية و فاعلة لكل عصور الحياة الإنسانية.

حين نقرأ في القرآن الكريم: «**هو الذي بعث في الأمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**»،[1] فليس معنى هذا أنه بنزول الدين الخاتم و بعثة النبي الخاتم سوف تتزكّى كل النفوس الإنسانية، أو أنها تزكّت فعلاً، و ليس بمعنى أن البشرية من بعد بزوغ شمس القرآن الكريم لن ترى أثراً للظلم و التمييز و الشقاء و الاختلالات في مسيرتها نحو التكامل. لو قلنا إن الرسول الأكرم (ص) و الدين الإسلامي كانا من أجل تكريس العدل و إنقاذ المستضعفين و تحطيم الأصنام الحيّة و غير الحيّة، فليس معنى ذلك أن الظلم سيرتفع بعد طلوع هذه الشمس الوضّاءة، و أنه لن يكون هناك طواغيت و أصنام يحكمون و يتسلطون على رقاب الناس. و الواقع يدلّ أنه بعد طلوع الإسلام ظهر في أقطار العالم و حتى في البيئة الإسلامية، طبعاً بعد مضي عقود من الزمن، طواغيت مارسوا ظلماً ضد البشرية، و استمرت المعاناة التي كابدتها البشرية على طول تاريخها.

إخفاقات البشر ثمرة عدم العمل بوصفة الإسلام و الرسول الأعظم (ص)

إذن، المراد من أن غاية البعثة و هدفها هو إنقاذ الإنسان معنى آخر. معناه أن ما منحه الرسول الأكرم (ص) و الإسلام للناس هو وصفة شافية لكل العصور و الأحقاب.. وصفة مضادّة لجهل البشر، و لتكريس الظلم، و للتمييز، و لانسحاق

---

١. سورة الجمعة، الآية ٢ .

الضعفاء تحت أقدام الأقوياء، و لكل أوجاع البشرية منذ بدء الخلقة. و هي كباقي الوصفات إذا تمّ العمل بها فسوف تؤتي ثمارها و نتائجها، و إذا تركت أو أسيئ فهمها، أو لم تتوفر الجرأة على العمل بها فستكون كالعدم و لن تؤثر شيئاً. أفضل الأطباء إذا كتبوا لكم أصحّ الوصفات، و لم تستطيعوا أن تقرؤها أو أسأتم قراءتها أو لم تعملوا بها و بقيت بالتالي مهجورة، فلن يكون لها أي تأثير على المريض، و لن يكون هناك أي عيب أو ملامة على ذلك الطبيب الحاذق.

مضت قرون و نسي المسلمون القرآن الكريم، و مُحيت الخطوط القرآنية الواضحة للحياة، أو أسيئ فهمها أو حُرّفت عن عمد، أو أن الناس فهموها لكنهم لم يتحلوا بالجرأة و الشجاعة للعمل بها، أو إنهم عملوا بها و كانت بعض النتائج، لكنهم لم يضحّوا في سبيل الدفاع عن تلك النتائج و صيانتها. حتى في صدر الإسلام، لو أنهم لم يفهموا كلام الرسول (ص) أو لم يتجرّؤا على العمل به، و قد أشار القرآن الكريم إلى أمثال هؤلاء الناس: «**يقولون إن بيوتنا عورة و ما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً**»،[1] أو لم يضحّوا من أجل حماية و صيانة النتائج المكتسبة فإن تلك النتائج ما كانت لتحصل، أو ما كانت لتبقى.

---

١. سورة الأحزاب، الآية ١٣ .

العودة لرسالة البعثة السبيل الوحيد لعلاج آلام المسلمين في العالم

معظم البلايا التي سادت حياة الناس في شبه الجزيرة العربية آنذاك بسبب الجهالة و العصبية، تسود حياة الشعوب المسلمة في العصر الراهن. ثمة في البلدان الإسلامية فقر و أمّية و تخلف علمي و استبداد داخلي و هيمنة القوى الاستكبارية و اختلافات داخلية. يعيش في العالم اليوم أكثر من مليار مسلم بوسعهم أن يكون لهم رأي و كلمة واحدة حاسمة في الأحداث العالمية المهمة، و لكن هذا التشتّت و المشكلات الداخلية و المعاناة الكبيرة تركت هذا الكمّ الهائل الذي يوجد فيه علماء و شخصيات ممتازة، تركته غير فاعل و ليست فيه فائدة! لماذا؟ هل هناك شيء يمكنه معالجة هذه الأوجاع؟ الإسلام و الانبعاث ببعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم).

على الشعوب الإسلامية أن تعود للإسلام. و الأبواب مفتوحة طبعاً. القرن الماضي أي القرن الرابع عشر للهجرة كان قرن النداءات و الهتافات الإسلامية. منذ بدايات القرن حيث أصدر الميرزا الشيرازي مرجع التقليد الإسلامي الكبير فتواه الحاسمة ضد الشركة الإنجليزية و أثار شعباً بكامله، إلى حادثة الثورة الدستورية في إيران، إلى الحركات الإسلامية في الهند، إلى الصحوة الإسلامية في غرب العالم الإسلامي في الشرق الأوسط و منطقة شمال أفريقيا و الشخصيات الكبيرة التي تحدثت و نادت، و السيد جمال الدين و آخرين و آخرين، كان ذلك القرن تقريباً قرن النداءات و الكفاح، أما القرن الذي تلاه فهو قرن التجربة. القرن الذي نحن فيه الآن هو قرن التجربة. القرن الرابع عشر للهجرة كان قرن النداءات و الصحوة و الإعلام، و هذا القرن الخامس عشر كان منذ مطلعه قرن التجارب و العمل.

نرى أن الشعوب الإسلامية اكتسبت تجارب و راحت تعمل، و من نماذج ذلك الجمهورية الإسلامية في إيران، و هي النموذج الأول. لأننا كنّا النموذج الأول فقد مررنا بالكثير من المشاكل، و على المسلمين أن يستلهموا التجارب من هذا النموذج. الشعوب التي تريد اليوم أن تطلق في بلدانها حركات إسلامية بوسعها عرض مشروع أشمل من الشعب الإيراني، إذا أعانها الله و إذا بذلت هي الهمم و الجهود اللازمة.

ليس أمام المسلمين من سبيل سوى العودة للإسلام، و سوى تأسيس حكم

إسلامي و تحقيق الإسلام و تطبيقه عملياً. ينبغي أن لا نأمل من أعداء الإسلام القدماء الحقودين أية مواكبة أو مساعدة. بل يجب أن لا نأمل منهم حتى أن يصبروا علينا و يسكتوا عنّا.[1]

التوحيد و العدالة.. هديتان معنويّتان من الرسول الأكرم (ص) للبشرية و كل الناس

يوم ولادة نبي الإسلام الكريم يوم للتدبّر في البركات و الخيرات اللامتناهية لهذا المولود الكريم، و ربما أمكن القول إن أعظم بركات هذه الولادة العظمى هي إهداء التوحيد و العدالة للمجتمعات البشرية. حتى في العصر الحاضر حيث التقدم العلمي و الفكري البشري، لا يزال البشر أسرى الشرك، و هذا ما يصدق عليهم حتى في البلدان المتقدمة جداً من الناحية المادية. لذا يتبيّن أن الاعتقاد بالتوحيد مع كل خيراته و بركاته بحاجة إلى نور لا يمكن التمتّع به إلّا عن طريق العقل المهديّ من قبل الوحي الإلهي. و قد قدّم رسولنا المكرّم (ص) هذه الهدية للبشرية، كما أهداها لها الأنبياء الذين سبقوه. للإيمان بالتوحيد خيرات و بركات في أرواح البشر و قلوبهم و حيواتهم يجب التفكير فيها و السير نحوها.

من الهدايا الإلهية الكبرى الأخرى التي أعطيت للبشرية عن طريق هذا الوليد الكريم هي العدالة.. هدية العدالة للإنسان الممتحن بانعدام العدالة.. منذ فجر التاريخ و إلى يومنا هذا، لا يزال انعدام العدالة معضلة البشر الكبرى. الدين الذي عرضه الوليد الكريم اليوم على الإنسانية يدعو الإنسانية لمثل هذه القمم الشامخة، أي التوحيد و العدالة في حياة الناس. إذن، بركات هذا اليوم و خيراته بركات و خيرات لكل البشرية، أي إن بوسع كل إنسان التمتع بها. هذا أولاً، و ثانياً هي خيرات لا تختصّ بزمن معين دون غيره. اليوم أيضاً تحتاج الإنسانية للعودة إلى التوحيد الخالص و دساتير العدل الإسلامي و الوصفة التي اختطّها الإسلام للعدل، حيث قال: «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**».[2]

---

١. من كلمته في لقائه بمسؤولي الجمهورية الإسلامية و الضيوف الأجانب المشاركين في مراسم عشرة الفجر ذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، و ذكرى المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٠٢ م.

٢. سورة الحجرات، الآية ١٣ .

أي الدعوة للتقوى و الورع، و تحاشي دوافع التفرقة بين البشر كالقومية و العنصر و العرق و اللون و ما إلى ذلك.

البلدان المتقدمة مادياً في العالم اليوم لا تزال تعاني من مشكلة الأسود و الأبيض. الأسود له حدود و الأبيض له حدود. لا تزال هناك حروب عرقية و حروب العنصر و القوميات. و كم من البشر يقتلون و تضيع حقوقهم و يتشرّدون بسبب هذه الحروب القومية المفتعلة! إذن، البشرية اليوم أيضاً بحاجة لنداء الوحدة و التوحيد و العدل الذي رفع رايته الإسلام و المسلمون. من يعارض هذا المسار؟ يعارضه الأقوياء الذين ينتفعون من التفرقة، و من الشرك، و من انعدام العدل، و الذين يقوم صرح حياتهم و فلسفتها على التمييز. الأقوياء الكبار في العالم المادي، أي الذين يرفعون في بلدانهم شعارات الديمقراطية و يدّعون الديمقراطية و المساواة في الحقوق بين أفراد المجتمع، و الذين يعارضون بألسنتهم و ادعاءاتهم استبداد الحكومات، نفس هؤلاء يسحقون الديمقراطية اليوم على مستوى العالم. ترجيح شعب على شعب، و تفضيل منطقة على أخرى، و تمييز دم عن دم! سوّدوا الاستبداد على العالم ليديروا العالم كما يشاءون. هذا هو واقع البشرية اليوم. و نرى أن البشرية حالياً تحتاج لنفس النداء الذي رفعه رسول الإسلام الكريم (ص) بين الناس على أساس التوحيد و العدل. لقد أعلن الشعب الإيراني هذا الأسبوع أسبوعاً للوحدة، و نادى إمامنا الخميني الراحل (رضوان الله تعالى عليه) و الذي رفع دوماً راية الوحدة بين المسلمين، نادى في هذا الأسبوع بالوحدة، و أوصل نداءه هذا لأسماع كل المسلمين في العالم، بل لأسماع كل طلّاب الحق في المعمورة.

أسبوع الوحدة.. تأكيد على تلبية حاجة البشرية إلى دعوة الرسول للتوحيد و العدل

أسبوع الوحدة اسم مناسب. و الحمد لله، الوحدة قائمة و متينة بين أبناء الشعب الإيراني و بين شرائح الشعب مهما كان مسارهم و وضعهم و مهمّاتهم و أعمالهم. على الرغم من المؤامرات و ما يُنثر من بذور النفاق، فإن أبناء الشعب الإيراني متحدون مع بعضهم و يسيرون باتجاه واحد هو اتجاه الإسلام و القرآن الكريم و سيادة الدين من دون فرق بين الشيعة و السنة و القوميات المختلفة من فرس و عرب و ترك و تركمن و بلوچ و كُرد و غير ذلك. إنه شعب متلاحم متوحّد. الحق أن الشعب الإيراني نموذجي ببركة الإسلام. إنه نموذج ناجح بين الشعوب المسلمة. رضي الله عنكم أيها الشعب الإيراني لصدقكم في تلبية دعوة الدين و نداء إمامكم الخميني الكبير. يجب أن تحافظوا على هذه الحال. الوحدة الثمينة التي استطعتم بفضلها أن تحققوا كل هذه الانتصارات لها أعداؤها الذين يتربّصون بها الدوائر. يجب أن تكونوا واعين يقظين، و لا تسمحوا بنشوب خلافات. كونوا حذرين أكثر في المواطن التي توجد فيها ذرائع للاختلافات و بوسع العدو إيجاد مستمسكات للتفرقة. يجب أن تكونوا حذرين أكثر في قضية المذاهب و الاختلافات المذهبية التي استغلها الأعداء قروناً متمادية. على الشيعة أن يحذروا و على السنة كذلك أن يحذروا.[1]

٢ – إتمام مكارم الأخلاق

حول أهمية هذا اليوم المبارك، لو أراد شخص استخدام ألفاظ و عبارات معينة، ربما تعذّر بيان عظمة و أهمية المبعث بأي شكل أو بيان. ذلك أن الألفاظ استخدمت في الكثير من المواطن بصورة متكرّرة و بمعان مجازية، و لم تعد تستطيع أن تعبّر عن عظمة هذا الحدث. ربما أمكن القول مثلاً إن بعثة سيّدنا خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله و سلم) حدث يمكن مقارنته بأصل خلقة الإنسان. فهو حدث عظيم و مهم إلى هذه الدرجة. ما يجب أن نهتم به كدرس و فائدة من هذا الحدث و العيد هو رسالة المبعث في حدود إدراكاتنا و قدراتنا. ما يمكن فهمه و قوله على الإجمال هو أن بعثة النبي

---

١. من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع) بتاريخ ١٩٩٢/٠٩/١٤ م.

الأكرم (ص) في إطار الكيان الفردي و التحوّل الداخلي للإنسان و كذلك في إطار الحياة الاجتماعية، رسم هدفاً معيناً مشخصاً. في إطار الفرد، و الأصل هنا أن يحدث تحوّل في الإنسان، هناك آيات في كلام الله الكريم، نظير الآية الشريفة من سورة آل عمران: «**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة**».[1] هذه التزكية و تعليم الكتاب و الحكمة هي نفسها التحوّل الداخلي عند الإنسان. من أجل أن يبلغ الإنسان الهدف و الغاية من خلقته يجب عليه أن يحقق هدف بعثة الأنبياء. أي أنْ يتحوّل و يتغيّر و يصلح و يكون صالحاً نقياً من الأدران و العيوب و الهواجس التي تعتمل في داخل الإنسان و تأخذ العالم نحو الفساد. هذا في خصوص الكيان الفردي للإنسان. و هذا هو الهدف من البعثة. و في قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[2] نظير هذا المعنى، أي تهذيب الإنسان و تزكيته و الأخذ بيده نحو الحكمة، و نقله من الجهل و البساطة العامية إلى الفهم و الحياة الحكيمة. هذا ما يتعلق بالمستوى الفردي و الحياة الفردية.

٣ – العدالة الاجتماعية

على مستوى الحياة الاجتماعية، فإن الشيء المرسوم كهدف هو العدالة الاجتماعية. «**ليقوم الناس بالقسط**».[3] و القسط يختلف عن العدل. إذ للعدل معنى عام. العدل هو المعنى السامي و الراقي الجاري في الحياة الشخصية و العامة و الأجسام و الأرواح و الأحجار و الخشب و كل أحداث العالم. أي إنه يعبّر عن توازن صحيح و سليم. هذا هو العدل. إنه السلوك الصحيح و التوازن الصحيح و الاعتدال و عدم الميل نحو العيوب و الخروج عن الحدود. هذا هو معنى العدل. لكن القسط كما يفهم الإنسان هو العدل في العلاقات الاجتماعية، أي الشيء الذي نسمّيه اليوم «العدالة الاجتماعية». و هذا غير

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٦٤ .

٢. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

العدل بمعناه العام الكلي. مع أن مسيرة الأنبياء كانت نحو العدالة بمعناها العام «**بالعدل قامت السماوات و الأرض**»،[1] لكن الشيء الذي يمثل حالياً قضية بالنسبة للبشرية و الذي تتشوّق و تتعطش له الإنسانية و لا يمكنها العيش بما دونه هو القسط. القسط معناه أن يؤخذ العدل بأبعاد أصغر فيكون عبارة عن العدالة الاجتماعية.. «**ليقوم الناس بالقسط**».[2] من أجل هذا جاء الأنبياء.

البشرية لا تستطيع أن تعيش في ظل اللاعدالة و السلوكيات الظالمة و العدوان و التعرّض و الاعتماد على التعسّف و القوة. فهذه لن تكون بحياة، إنما هي جحيم. جاء الأنبياء ليصنعوا من بيئة الحياة جنة. طبعاً لو نظرنا بعين الدقة فإن هذه الثانية التي هي هدف الأنبياء على مستوى الحياة الاجتماعية مقدمة لوصول الإنسان لذلك الهدف المرسوم على صعيد الحياة الفردية، أي التحوّل الداخلي و الصلاح و أن يكون الإنسان إنساناً سليماً. كل شيء تلاحظونه في العالم، شكله الصحيح هو الذي ينتج الفائدة المطلوبة. لم يخلق الإنسان من أجل أن يوجّه الضربات و الأضرار للآخرين و يحسدهم و يريد كل شيء لنفسه و يحرم الآخرين، و تصدر عنه الشرور للعالم و الناس، و أن يلتصق بالأشياء الصغيرة و يغفل عن الكمال و المطامح السامية. الإنسان لم يخلق لهذه الأشياء. خلق الإنسان ليكون صالحاً مفيداً سائراً نحو الكمال. إذا كان هذا و سار الإنسان نحو الكمال، و كان الدرب الذي يسير فيه مفيداً له و للآخرين، كان هذا الإنسان متحوّلاً زكياً. هذا من أهداف البعثة.

الإنسانية المعاصرة و حاجتها الماسّة لرسائل البعثة

اليوم حيث تعمل مئات الألسن و الحناجر و الأقلام في العالم، و تحاول بدعم أموال الأجهزة الاستعمارية أن تنال من المعنوية و الدين و الإسلام و أي تدفق إسلامي، و أن توحي بأن هذه النظم المادية في العالم و هذه النظم المتغطرسة السائدة في الدنيا هي الصالحة و هي الجيدة، و ليس من حاجة إلى الإسلام كي يأتي و ينال

---

١. الكافي، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

من هذه النظم العاتية، هل ترى أن الإنسانية في غني عن البعثة؟ ألا تريد الإنسانية اليوم أن تزكّي نفسها؟ أليس من العيب على كل واحد من أبناء البشر أين ما كان أن يفكر براحة نفسه و أذى الآخرين؟ أليس من العيب على البشرية أن لا يكون هناك نزعة مبدئية بين أبنائها، و أن يقنع الجميع بالوضع السائد في حياتهم، و إذا كانت في يد شخص كسرة خبز قبض عليها بكل قوة لئلا يأتي متعسف يسرقها منه، و لا ينال هو منها شيئاً؟ هل هذا واقع صالح في العالم؟ هل هذا الوضع و هذا النظام العالمي هو الجنة الموعودة للبشرية؟ ألا يجب فعل شيء ضد هذا الوضع و لإصلاحه و تهذيبه؟ ألا يجب أن تبدي البشرية حركة و يكون لها انبعاث؟ ألا يسود «قانون الغابة» بالمعنى الحقيقي للكلمة في العالم اليوم، أو في أجزاء من العالم على الأقل؟ هل ثمة أثر هناك للقسط؟

انظروا إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه. تلاحظون أن عدداً من شعب يبلغ الملايين بكباره و صغاره و نسائه و رجاله و مرضاه و أصحّائه و الكل و الكل تزهق أرواحهم من قبل عدد من الناس، و تهدّم بيوتهم، و يُعتدى على أعراضهم و نسائهم، و لا دواء لهم، و لا غذاء لهم، و لا راحة لهم، و لا أمن لهم، و لا يصدر عن العالم أي تحرّك بالمعنى الواقعي للكلمة! في أحداث البوسنة و الهرسك المريرة المبكية، ما هي الأسباب و المبرّرات التي يحملها الذين يمارسون ضد الناس كل هذا القمع و العنف؟ هل ثمة أسباب أو أدلة يحملونها لممارساتهم هذه؟ حتى لو كانت لهم أسبابهم القومية فليس هذا هو الحلّ و السبيل الصواب. و لو كانت لهم أسبابهم الدينية فليس هذا هو الحل و الطريق الصحيح. أن يجري القضاء على شعب بأكمله و أخذ أبنائه للمخيّمات لكي لا تكون لهم هناك أية حُرمة، ألا يدل هذا على وحشية حقيقية و سيادة قانون الغابة؟ يوم انهال الصرب على المسلمين في البوسنة تقتيلاً و إرهاباً، لو صدرت عن أطراف العالم و أكنافه في أوربا و أمريكا و آسيا و البلدان الإسلامية ردود أفعال حقيقية جادّة، و ساروا إليهم لتأديبهم، لكان ذلك دليل على وجود رشد و سلامة في العالم إلى جانب الانحراف و الشرور. و نرى أن مثل هذا الشيء لم يحدث.[1]

---

١. من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٣/٠١/٢٠ م.

أوجه أهمية ولادة النبي الأكرم (ص) لعصر البعثة و كل عصور التاريخ

ولادة النبيّ الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) مهمة بالنسبة لنا نحن المسلمين من عدة نواح. إنها ذكرى عميقة المعاني و المضامين. الناحية الأولى هي أن ولادة هذا الإنسان العظيم حدثت في وقت كانت فيه البشرية عموماً، و لا أخصّ شعباً بعينه أو أهل بلاد بحد ذاتهم، بل مجموع البشرية كان لها سمتان بارزتان. إحدى هاتين السمتين هي أنها كانت متقدمة من الناحية العلمية و العقلانية و الفكرية بالقياس إلى العصور التي سبقتها. فقد ظهر في البشرية فلاسفة و علماء و علماء رياضيات و أطباء و مهندسون كبار و حضارات كبيرة. و هذه الحضارات ما كانت لتظهر من دون علوم و معارف. الأكاديميات في الغرب، و الحضارات في الشرق، و حضارة الصين، و حضارة مصر، و الحضارات التاريخية الكبرى، كلها كانت قد ظهرت و مضت. أي إن البشر قد تكامل. هذه إحدى السمتين.

و السمة الثانية، و الجمع بين هاتين السمتين أمر عجيب جداً، هي أن البشرية كانت في تلك الفترة منحطة أخلاقياً أكثر من أي عصر سابق، أو إذا لم نشأ أن نقيم هذه المقارنة قلنا إنها كانت في الدرك الأسفل من الانحطاط. هذه البشرية المتمتعة بالعلوم و المعارف كانت أسيرة بشدة للعصبيات و الخرافات و الأنانيات و المظالم و الجور و الأجهزة الحكومية الدموية و اللاإنسانية. مثل هذا الوضع كان سائداً في العالم يومئذ. لو نظر شخص في التاريخ فسيرى أن البشرية كلها كانت في ذلك الزمن أسيرة. و كما ورد في كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) حيث يقول: «**في فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم بأظلافها، و قامت على سنابكها**».[1] كانوا يعيشون في منتهى الفتن و الضغوط و المحن و المشكلات و الاقتتال. كانت البشرية تعيش حياة جد مريرة. «**نومهم سهود**». يقول الإمام علي بن أبي طالب في هذه نفس هذه الخطبة إن نوم الناس كان سهوداً، أي إنهم لم يكن بوسعهم النوم براحة و طمأنينة و سكينة.

---

١. شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد)، ج ١ ، ص ١٣٦ .

من الخطأ أن يظن ظان أن هذه المشكلات كانت خاصة بجزيرة العرب. لا، حين تنظرون لمهد الحضارة في ذلك الحين، أي لبلاد الروم، تجدون مثل هذه الأحوال. هناك أيضاً و هم يزعمون يومذاك أن لهم ديمقراطية و مجلس شيوخ، كان يسود الناس استبداد و مفاسد حين تقرأون عنها في الكتب تخجلون أمام أنفسكم. يخجل الإنسان لأن الإنسان كان يعيش مثل هذا الانحطاط في زمن من الأزمنة. و في بلادنا إيران قديماً لم يكن الوضع أفضل من بلاد الروم. هم أيضاً كانت لديهم قدرات و سلطة و سيوف و رماح و بطولات قتالية و حماسة و ما إلى ذلك، لكن الفوارق الطبقية و الظلم و التمييز و الفساد و التعسف و الجهل و الخرافات لم تكن لها حدود تقف عندها. في مثل هذه الظروف ولد هذا المولود المبارك و الرسول الإلهي لإنقاذ البشرية.

ما ورد في التواريخ من أن قمّة قصر كسرى تصدّعت، و تزلزلت علامات الوثنية و الشرك في أنحاء العالم عند ولادته (ص)، فإذا كان هذا المأثور أكيداً، كان ذلك ربما علامة القدرة الإلهية، من أجل الإعلان الرمزي عن شروع القوة الإلهية التي يُراد لها زعزعة أركان الظلم و الفساد، و تنزيه العلم من الخرافات و الحضارة من الفساد و الظلم. و هذا ما فعله رسولنا الكريم. واجه هذا الوليد المقدس عند بعثته الكبرى مثل هذا العالم، و حال عبر جهاد جد عسير و صعب دون أن تستمر الإنسانية في تخبطها في الجهل و الخرافات و الفساد و الظلم و العصبيات المدمّرة و ظلم البشر لبعضهم و استغلال بعضهم لبعض. بل لقد غير وجّه الإنسانية، و أوجد وجهاً و وضعاً جديداً في العالم. و من البديهي أن مهمّة الرسول الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) لم تكن إصلاح الدنيا كلها. لا، كان على هذا الرسول أن يتلقى هذا النموذج الصالح الصحيح من الوحي الإلهي و يعطيه للبشر، ليستخدمه الإنسان على امتداد حياته لحظة بلحظة. أما من الذي عمل بهذا النموذج و من الذي أضاعه فهذا بحث آخر. لقد أدّى هذا الإنسان الجليل رسالته بتمامها، و أكمل مهمته و انتقل إلى جوار رحمة ربّه.

مقارنة ظروف العالم اليوم بظروفه في عصر البعثة

و اليوم أيضاً تبرز هذه الذكرى مهمّة ذات شأن من حيث أننا يجب أن نتنبّه إلى أن العالم تقدم من الناحية العلمية و انحدر إلى الحظيظ من الناحية الأخلاقية. وصل الأمر بالعالم إلى درجة أن القوى العاتية في العالم تجعل من المعروف منكراً و من المنكر معروفاً على رؤوس الأشهاد و أمام أنظار الناس في العالم. أعتقد أنه لا شيء أسوء من هذا في عالم الفساد و انحطاط الإنسانية. يقول الرسول في إحدى الروايات إنه سيأتي زمان يأمر فيه الناس بالمنكر و ينهون عن المعروف. فتعجّب المستمعون، فأوضح لهم أن المنكر سيكون معروفاً. و يشعر المرء في الوقت الراهن أن أيدي القوى المادية المستكبرة المنفلتة المتكبّرة المتفرعنة المتعسّفة تصنع مثل هذه الأشياء. يكذبون على الناس علانية، و يعتبرون هذا الكذب عملاً مقدساً! يشجّعون على الظلم، و يعتبرون الظالم محقاً في ظلمه هذا! يدينون المظلوم و يدمغونه و يعدّون قمع المظلومين هذا عملاً صالحاً حسناً!

هكذا أضحى الوضع في العالم اليوم. ذهبت جماعة و اغتصبت فلسطين، و لم تكتف باغتصاب فلسطين، إنما عرّضت المسلمين الفلسطينيين طوال أكثر من أربعين عاماً لشتى صنوف القمع و الضغط و التشريد و التقتيل و الإذلال. و هذا منكر بيّن جليّ. من لا يخطّئ إنساناً يدخل بيتكم عنوة و يقمعكم!؟ يجب تخطئة الظلم. و لاحظوا اليوم أن السلطات الأوربية و أمريكا و خدّامها و التابعين لهذه القوى و الراضخين لإملاءاتها و الحكومات التي تقوم بإشارة من الأصابع الأمريكية و لا صلة لها بشعوبها، لاحظوا أنها تعاضدت كلها لتصويب ما يقوم به هذا الظالم الذي مارس ظلمه هذا بكل وضوح و جلاء. و من جهة أخرى عندما يجاهد الشباب الفارغ الصبر في فلسطين و لبنان هذا الظالم الجائر، و هو عمل ممدوح في رأي كل عقلاء العالم، إذا بهم يرفعون أصواتهم بأن هؤلاء إرهابيون و ظالمون، و لماذا قتلتم و لماذا ضربتم و لماذا لم تستسلموا و لم تخضعوا؟!

حبّ الرسول الأكرم (ص) محور الوحدة بين المسلمين في العالم

أعزائي.. إن مسلمي العالم يستطيعون الاتحاد تحت اسم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) أسهل و أسرع من أي شيء آخر. فهذه هي سمة هذا الإنسان العظيم. لقد قلت مراراً إن هذا الإنسان العظيم هو مجمع و ملتقى عواطف المسلمين، فالمسلمون يعشقون رسولهم. اللهم اشهد أن قلوبنا مفعمة بمحبّة رسولك. يجب الانتفاع من هذه المحبة، فهي محبّة حلّالة للمشكلات. المسلمون اليوم بحاجة للأخوّة و الوئام. شعار «**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**»[1] أهمّ اليوم من أي وقت آخر. الضعف و الذلة التي يعاني منها المسلمون في بلدان العالم حالياً ناجمة عن هذه التفرقة و الاختلاف. لو كان المسلمون متحدين لما حلّ بفلسطين ما حلّ بها. و لما عانت البوسنة مما عانت. و لما كان هذا وضع كشمير. و لما كان هذا وضع طاجيكستان. و لما عاش مسلمو أوربا هذه المحن و الصعاب. و لما تعرّض المسلمون في أمريكا لهذا التعسّف. السبب هو أننا متفرقون مختلفون في ما بيننا.

نادت الجمهورية الإسلامية بالوحدة فانهالت عليها كل القوى الاستكبارية! و بالطبع فقد استطاعت الجمهورية الإسلامية لوحدها الانتصار على كل هذه القوى. لماذا؟ لأنها نادت بالوحدة و هم أعداء الوحدة. وحدة المسلمين في ضررهم. لذلك يحاولون تحطيم هذه الوحدة. أقول: يجب على علماء الشيعة و السنة أين ما كانوا من العالم، و بما في ذلك بلادنا العزيزة، أن يحذروا و يدققوا. لقد كان ثمن هذه الوحدة التي في إيران غالياً. و قد كلف تكريس نداء الوحدة في العالم غالياً. فلا تحطموه بسهولة! و كل من يحطمه فهو خائن كائناً من كان. و لا فرق في ذلك بين السنّي و الشيعي.[2]

ظروف العالم في زمن البعثة

أهمية يوم المبعث من الناحية المعنوية أعظم حقاً من أن يستطيع أمثالي الإدلاء بكلام واضح حوله. بيد أن هناك نقاطاً حول تأثير البعثة في حياة البشر على مدى

---

١. سورة الحجرات، الآية ١٠ .

٢. من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد و شرائح الشعب المتنوعة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام الصادق (ع) بتاريخ ١٩٩٣/٠٩/٠٥ م.

العصور التاريخية، يمكن طرحها و التحدّث عنها.

كانت البعثة في ظروف فراغ حقيقية، فالبشرية كانت بأمسّ الحاجة لهذه البعثة الكبرى. و قد شاء الله تعالى حسب مقتضى حكمته البالغة أن يكون مكان هذه البعثة العظيمة و الواقعة الكبرى في محلّ يحول دون أن تتلوّث المفاهيم الحقيقية للبعثة بالمفاهيم الشائعة في ذلك العصر، و أن تشتهر بذلك في العالم إذ ذاك و تبقى صحيحة عبر التاريخ. هذه بحد ذاتها نقطة تتعلق بمكان البعثة الخاتمة التي لم تقع في بلاد الروم مثلاً أو بلاد اليونان أو غيرهما من البلدان المتقدمة يومذاك.

في زمن البعثة النبوية الشريفة كانت هناك حضارات كبيرة في العالم. كانت هناك شعوب لها معارفها الفلسفية و العلمية البشرية و وعيها الحضاري. و كان يمكن أن تقع البعثة في تلك البلدان و المناطق، لكن الله تعالى لم يجعل هذه البعثة التي كان يجب أن تستمر للبشرية طوال التاريخ و إلى ما لا يعلمه إلّا الله، لم يجعل الله تعالى هذه البعثة في منطقة قد تتسبّب في أن تتدخّل فيها عند انعقاد نطفتها الأولى عناصر غريبة و أجنبية. كانت في غرب الأرض آنذاك بلدان فيها حضارات كبرى. و تعاملهم مع الأنبياء يدلّ على أنهم كانت لهم حضارات. و من ذلك أهالي مدينة أنطاكية التي يروي القرآن الكريم في سورة «يس» قصة بعثة ثلاثة أنبياء لها، و ينهيها بكفر هؤلاء الأهالي و عدم شكرهم. هذا ليس بالشيء القليل. و قد روى لنا التاريخ أيضاً بعض المعطيات عن تلك الأمم. لم يجعل الله رسوله الخاتم في تلك الأماكن.

لم تكن في جزيرة العرب معارف، إنما كان هناك الشرك و معارف الشرك، و بمستويات هابطة. لذلك نلاحظ في القرآن الكريم حرباً شعواء ضد الشرك. سورة الإخلاص التي تؤكد كل هذا التأكيد على «**لم يلد و لم يولد**»، حيث توجد في هذه السورة القصيرة أربع آيات تقول: «**لم يلد و لم يولد**»، و تركّز كذلك على «**و لم يكن له كفواً أحد**»،[1] كل ذلك من أجل محو الشرك من الأذهان و عدم اختلاطه بالرسالة الإلهية. أية ممارسة شركية مرفوضة في الإسلام. و إذا تجاوزنا هذا، فقد ولد

---

١. سورة الأخلاص، الآيتان ٣ و ٤ .

الإسلام الخالص، و انتقل إلى أرجاء العالم خالصاً. لذلك أين ما ذهب و سار كان قاطعاً متميزاً في مقابل الحضارات و الثقافات المختلفة، إلى أن تغيّر الخلوص لدى دعاته و تغيّرت حالة الخلوص في الدعوة أيضاً. هذه البعثة أمر دائمي للبشرية. و هذه هي ميزة بعثة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله و سلم). أي كلّما فرغت ساحة العالم و الحياة البشرية من المعنوية، استطاعت هذه المعارف التي ينطق بها القرآن الكريم ملء هذا الفراغ في أي زمان. نوعية المعارف الإسلامية بحيث تستطيع في كل الظروف إيجاد قوة داخل هذه المجموعة من القوانين و المعارف يمكنها في كل الظروف ملء الفراغات المعنوية، و تمكين البشرية من العيش في أجواء معنوية.

تناظر الظروف في العالم اليوم مع زمن البعثة من حيث الحاجة إلى سبيل الإسلام العقلاني المعنوي

و اليوم أيضاً يعيش العالم ما يشبه تلك الظروف. ما هو الشرط اللازم في أن تستطيع دعوة معينة أن تجد مكانها بين الشعوب و البلدان، و تكسب من يصغون إليها؟ الشرط الأول هو أن تكون منطقية و معقولة. أية كلمة تفصل الإسلام عن منطقه العقلاني الذي يتحلى به تنتهي في ضرر تنامي الإسلام و انتشاره. الذين يتحدثون حول القضايا و الشؤون الإسلامية و يبدون وجهات نظرهم يجب أن يتفطنوا لهذه النقطة. الإسلام دين عقلاني. الإسلام دين يفهمه العقل السليم و الفطرة و تدركه و تتقبله و تستحسنه. هذه هي ميزة الإسلام. و هذا ليس بمعنى أن كل حكم من أحكام الإسلام له برهان عقلاني. لماذا صلاة الصبح ركعتان؟ هل يتحتّم أن نسوق لذلك برهاناً عقلياً؟ لا. و ليس بمعنى أن أي عقل مهما فهم و أدرك يجب أن نجد رأيه في الإسلام. القضية ليست كذلك أيضاً. بل بمعنى أن المعارف الإسلامية، ما صحّ منها نسبته إلى الإسلام و حكم أهل الخبرة و الاختصاص بأنها إسلامية حقاً، يمكن الدفاع عنها في أية أجواء عقلانية و علمية.

يمكن تسويغ الصلاة لأكثر الناس مادية، و شرحها و تفهيمها له، و إيضاح ما هي الصلاة و لماذا هي واجبة في الإسلام. أحد المفكرين الغربيين في القرن التاسع عشر، و هو قرن اللادينية في العالم الغربي، و هو شخصية معروفة شهيرة و لا أريد ذكر الأسماء،

يقول: «ثمة سرّ عظيم كامن في الصلاة». نعم، لو لم يكن فيها سرّ عظيم كامن لما رفع شخص مفكر صوته لصالحها في تلك البيئة المادية. الأشخاص المنصفون و أهل العلم و العقل و المنطق و الاستدلال و البرهان يمكنهم استيعاب كل المعارف الإسلامية و استحسانها و قبولها. هذه هي ميزة الإسلام.

إذن، المنطقية و العقلانية من خصوصيات الإسلام. إذا حاول البعض فصل الإسلام عن هذه الخصائص و الخصال، أو القول في دعواتهم و إعلامهم «هذه على الضد من العلم و العقل»، أو نسبوا عملياً إلى الإسلام ما ليس من الإسلام، و ما لا يستطيع العقل السليم تصديقه و قبوله، فهم يضرون يقيناً بنشر الإسلام، و لا يساعدون على ذلك أبداً. هذه من خصوصيات العناصر الذاتية التي تستطيع نشر الإسلام.

الميزة الأخرى في الإسلام هو أنه رسالة معنوية و إلهية. أي خلافاً لما ينسب للمسيحية من تغلب الجوانب الأخروية فيها على جوانبها الدنيوية، فإن الإسلام ليس كذلك. الإسلام يعتبر الدنيا جزءاً من الآخرة. حياتكم هذه و تجارتكم و دراستكم و أعمالكم الإدارية و نشاطكم السياسي هي كلها جزء من آخرتكم. الدنيا قطعة من الآخرة. أو هذه الأعمال التي تقومون بها بنية صالحة، إنما هي حسنات تقرّبكم في الآخرة من الله و المراتب المعنوية العليا. أو أعمالكم المنطلقة من نوايا سيئة لا سمح الله، أي ما تفعلونه بنيّة الأنانية و عبادة الذات فإنه يجرّ عليكم الانحطاط و الهبوط و السقوط في الدرك.

هكذا هو الإسلام. كل بيئاتنا الحياتية و كل مساعينا الدنيوية هي جزء من الآخرة. الدنيا و الآخرة ليستا منفصلتين. السيّئ هو أن تقوموا بمساعيكم المادية اليومية ذات العلاقة بحياتكم في هذه النشأة بنوايا سيئة. هذه هي الدنيا الذميمة التي قيل عنها ما قيل. لكن هذه النشأة غير منفصلة عن تلك النشأة. و هذا العالم غير منفصل عن ذلك العالم. هذا العالم مزرعة لذلك العالم. ما معنى المزرعة؟ و هل يمكن حصد المحصول من غير المزرعة؟ هذا يعبّر عن منتهى الوحدة و التناسق و التوحّد. و مع أن

للإسلام مكانته و كلمته في أنحاء الحياة البشرية، إلا أن الإسلام مع ذلك دين معنوي. القلوب في بيئة الدين الإسلامي يجب أن تتجّه نحو الله. و النوايا يجب أن تكون لله. هذه من خصوصيات الإسلام و من وسائل نشر الإسلام.

النقص الذي يستشعر في العالم اليوم، و الذي يشعر به الناس في العالم أنفسهم، هو نقص المعنوية و الفراغ المعنوي، و خصوصاً في العالم الغربي. بقوا مقيدين بالماديات و انفصلوا عن المعنويات و غرقوا في الشهوات. خصوصية الشهوات هي أنها في بداية الأمر شهوة لكنها تتحوّل بالاستمرار و المواصلة إلى جحيم! إذا سادت الشهوات على حياة فرد أو شعب تتحوّل إلى جحيم. هذه هي خصوصية الشهوات البشرية. لا يمكن أن تروا شخصاً يعيش حياة طيبة هانئة في الشهوات لمدة طويلة. مثل هذا الشخص لم يخلقه الله. إذا نظرتم و بحثتم و حققتم فسوف تصلون إلى هذه النتيجة. هذه قضية واضحة و أكيدة. استمرار البقاء في الشهوات يخلق للإنسان جحيماً. و هذا هو الجحيم الذي استغرق حالياً بعض الناس المتنعّمين في الغرب. و غير المتنعّمين يعيشون في جحيم من الفقر و البؤس و الفساد. طبعاً ثمة استثناءات. من كل شريحة لا بدّ أن يكون هناك أشخاص استثنائيون. و لا شك أن هناك بينهم أناس و أفراد صالحون. لكن النوع هو هذا. العالم اليوم بحاجة لهذه البعثة.[1]

بعثة النبي الأكرم (ص) ينبوع كل الفضائل في العالم

ولادة النبي الأكرم (ص) محطة بارزة في التاريخ بالنسبة لأي فرد مسلم. فقد أفضت هذه الولادة لاحقاً إلى حركة هائلة في تاريخ الإنسانية. كل فضيلة في العالم ناجمة، و إن بشكل غير مباشر، عن تلك البعثة و إقامة مكارم الأخلاق على يد الرسول الأعظم (ص). يعلم كل مسلم أنه ما من قطب أفضل من الكيان المقدس للرسول الأكرم (ص) من أجل تركيز عواطف العالم الإسلامي و مشاعر شتى الفرق الإسلامية، فجميع المسلمين يحبّون هذا الإنسان الكبير الذي كان محور الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ. إذن، هذه الولادة مهمة بالنسبة لنا.

و بالطبع فقد دلّ التاريخ الإسلامي على أنه بعد نحو مائة سنة من وفاة الرسول

---

١. من كلمته في مسؤولي الدولة و مدرائها بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٤/٠١/١٠ م.

الأكرم (ص) تولّى الإمامة حفيده الإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة و السلام) و كان ذلك بزوغاً جديداً للأهداف و المعارف الإسلامية. الجمهورية الإسلامية تولي اهتماماً خاصاً لولادة النبي الأكرم (ص) و بعثته و كل ما يتعلق به. لماذا؟ لأن إيران الإسلامية هي اليوم و على مستوى العالم كله و تحت مظلة السماء، هي المنطقة الوحيدة من العالم التي تطبّق فيها بشكل رسمي أحكام الإسلام، و تنظم القوانين و المقررات طبقاً للقرآن الكريم و سنة الرسول الأكرم (ص)، و يُعمل بها، و بعبارة أخرى فإنها أهم بقعة على الأرض تشهد مثل هذا التحرّك الهائل. ثمة في إيران دولة تحكم باسم الإسلام، و هذا في الحقيقة شيء يلقي تكليفاً على عاتق كل المسلمين في العالم. لأن الحكومة إذا كانت على أساس الإسلام فمعنى ذلك أن الإسلام يُعمل به. أما إذا كان الإسلام بمعنى عقيدة الأفراد و أعمالهم في المجتمع من دون سيادة الدين، فإن القرآن و الإسلام سيكونان مهجورين في مثل هذا المجتمع.

و قد ورد مصداق هذا في القرآن الكريم في سورة الفرقان على النحو التالي: «**و قال الرسول يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**».[1] فما هو معنى هجر القرآن؟ لا شك أنه ليس بمعنى أن الناس دفعت عن نفسها كلياً هذا القرآن و اسم القرآن و اسم الإسلام. فهذا ليس اتخاذاً. «**اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**» بمعنى أن القرآن معهم، و لكن معهم إلى جانب الهجر. القرآن موجود و لكنه مهجور. معناه أن القرآن يُتلى في المجتمع و يحترم ظاهرياً و لكن لا يعمل بأحكامه، و تُسلب الحكومة من القرآن بذريعة فصل الدين عن السياسة. إذا كان المقرر للقرآن و الإسلام أن لا يحكما فلماذا كان كل هذا الكفاح و الجهاد الذي خاضه النبي الأكرم؟ إذا كان رسول الإسلام (ص) يعتقد أنه يجب عدم التدخل في حكم الناس و إدارة حياتهم و في السلطة السياسية في المجتمع، و يكفي أن يكون للناس معتقداتهم الإسلامية و أن يؤدوا أعمالهم الدينية في بيوتهم، لما كان من الأكيد أن تفرض على الرسول كل هذه الصنوف من التحديات و الكفاح و الجهاد و المعارضات. إنما كان موضع الخلاف بين الرسول و

---

١. سورة الفرقان، الآية ٣٠ .

معارضيه على السلطة السياسية و تولي القرآن الكريم للسلطة. هجر القرآن الكريم معناه أن يكون اسم القرآن موجوداً من دون سيادة القرآن و حكمه. أين ما لم يكن القرآن الكريم هو الحاكم في العالم الإسلامي، يصدق خطاب النبي «**يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**».[1]

معايير الاختلاف بين عصر البعثة و العصر الجاهلي

في المصطلح القرآني و الحديثي و في العرف الإسلامي يسمّى العصر السابق لعصر البعثة بالعصر الجاهلي. و قد استخدم هذا التعبير و هذا المصطلح في القرآن الكريم، و هو موجود في الروايات و عرف المسلمين، حيث يضعون الحقبة الإسلامية في مقابل العصر الجاهلي. و طبعاً ثمة حدود و ضوابط، فما هي هذه الضوابط؟ ثمة نقاط تفصل العهد الإسلامي عن العهد الجاهلي، و هي النقاط الإسلامية الأصلية و القيمية.

١ – التوحيد الخالص

يأتي التوحيد الخالص في الدرجة الأولى من هذه النقاط. و معنى التوحيد الخالص هو نفي عبودية غير الله. هذا هو التوحيد الخالص. لم يكن التوحيد مجرد أن يتركوا الأصنام. فللتوحيد معنى شامل و عام و سائر على مرّ التاريخ. و هل الأصنام موجودة دوماً؟ الأصنام الحجرية و الخشبية ليست موجودة دوماً. معنى التوحيد و روحه عبارة عن انتهاء الإنسان عن عبودية غير الله، و أن لا يعفّر جبهة العبودية على الأرض أمام غير الله. هذا هو معنى العبودية الكاملة الخالصة. و لو نظرتم بعين مستنيرة واعية متسلحة بالعلوم لحياة البشر – العلوم الاجتماعية و التربوية و ما إلى ذلك – فسترون أن دائرة العبودية دائرة واسعة. عبودية الأنظمة الاجتماعية الخاطئة، و عبودية الأعراف و التقاليد الخاطئة، و عبودية الخرافات، و عبودية الأشخاص و القوى المستبدة، و عبودية الأهواء النفسية – و هذه هي الأكثر شياعاً من غيرها – و عبودية المال و القوة. هذه هي أنواع العبودية.

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٤/٠٨/٢٦ م.

حين نقول: «**لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له**»،[١] فمعنى ذلك التوحيد الخالص. معناه أن تزول كل هذه العبوديات جانباً، و إذا كان هذا تحقق الفلاحُ و الصلاحُ فعلاً. حين قال: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»،[٢] فهذا الفلاح هو فلاح حقيقي. و ليس مجرد فلاح سياسي، و لا فلاح اجتماعي، و لا فلاح معنوي، و ليس مجرد الفلاح في يوم القيامة، بل هو فلاح الدنيا و الآخرة. هذه نقطة حول مميزات الإسلام و العلامات البارزة في الدعوة الإسلامية يمكن التعبير عنها بشكل آخر، و هو أن الإسلام يعني التسليم و **الإسلام لوجه الله** و التسليم لله. هذا جانب آخر و بعد آخر لذلك التوحيد. هذا على سبيل المثال أحد مميزات الدعوة الإسلامية. أين ما كانت هذه كان الإسلام. و أين ما كان الضدّ من هذه كانت الجاهلية. و كل ما كان بين هذا و ذاك كان ما بين الإسلام و الجاهلية، فهو ليس بالإسلام الخالص أو الكامل، بل هو إسلام قد يكون نصفي ناقص.

٢ – تحكيم العدل

نقطة أخرى في الدعوة الإسلامية هي تسويد العدل و تحكيمه بين الناس. من خصوصيات الجاهلية نظامها الظالم. الجور كان عرفاً دارجاً في الجاهلية. و لم يكن الأمر بحيث يقع الظلم في أحيان نادرة من بعض الأشخاص. إنما كان أساس نظام المجتمع هو الظلم و التمييز و منطق القوة و تعسف القويّ ضد الضعيف، و تعسف الرجل ضد المرأة، و تعسف الثريّ ضد المعدم، و تعسف السيد مقابل العبد. و هؤلاء الأسياد أنفسهم يرضخون بدورهم لعسف السلاطين و أصحاب الحكم و السلطة. كانت الأمور عسفاً في عسف و ظلماً في ظلم. كانت حياة الناس كلها ظلماً و تمييزاً و تعسفاً. هذه هي صورة الحياة الجاهلية. و أين ما كان الوضع على هذا النحو كان وضعاً جاهلياً. و قد جاء الإسلام بالحالة المقابلة لهذا. جاء بتكريس العدل و تسويده و

---

١. وسائل الشيعة، ج ١ ، ص ١٥ .

٢. بحار الأنوار، ج ١٨ ، ص ٢٠٢ .

تحكيمه. «**إن الله يأمر بالعدل و الإحسان**».[1] هذه من خصوصيات المجتمع الإسلامي.

و العدل ليس مجرد شعارات. على المجتمع الإسلامي أن يسعى للعدل، و إذا لم تتوفر العدالة وفّرها و عمل على تحقيقها. إذا كان في العالم قطبان أو نقطتان إحداهما العدل و الثانية الظلم، و كلاهما ليست من الإسلام، فإن الإسلام ينظر بعين الموافقة لنقطة العدل حتى لو كانت غير إسلامية. المهاجرون إلى الحبشة بعثهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) بنفسه للحبشة. أي إنه بعثهم ليلجؤا إلى ملك كافر بدافع العدل. و بعبارة أخرى، أبعدَ الناسَ عن بيوتهم و حياتهم و بيئتهم بسبب الظلم الذي يتعرّضون له. هذه بدورها نقطة تتعلق بتكريس العدل و انتهاجه و إشاعته و السعي و الجهاد لتحقيقه و تكريمه و تبجيله – حتى لو كان في بلاد غير مسلمة – و إدانة الظلم في أية بقعة من العالم. هذه من الخصائص الإسلامية، و تلاحظون أن الحياة الإسلامية و حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) و التاريخ الإسلامي في أفضل أزمنته و أنزه فتراته يدلّ على تحرّي العدل و تنميته. هذه بدورها من مميزات بعثة الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). إنني أذكر هذه الأمور من باب المثال. تنبّهوا لنصل إلى حيث نستطيع أن نستخلص من هذه الأمور ما ينفعنا لمسيرتنا الراهنة. فنحن لا نروم مجرد استعراض التاريخ أو إحدى معارف الإسلام لنخزنها في الأذهان و نزيّن بها أذهاننا.

٣ – مكارم الأخلاق

و ثمة في النظام الإسلامي نقطة ثالثة هي السير نحو مكارم الأخلاق. و هذه النقطة غير تلكم النقطتين. مرة يكون في المجتمع أشخاص يتمتّعون بأخلاق صحيحة. فأفراد ذلك المجتمع أشخاص يتحلون بصفات الصفح و التفكير و العقل و الخير و الإحسان و مساعدة الآخرين و الصبر على المشكلات و الحلم عند الصعاب، و الخلق الحسن في تعاملهم مع بعضهم، و الإيثار عند لزوم الإيثار. و قد يصدق العكس. أي قد يكونوا

---

١. سورة النحل، الآية ٩٠ .

أناساً لا تقوم العلاقات بينهم على أساس الرحمة و المروءة و الإنصاف و الأخلاق الحسنة، بل على أساس المنفعة الشخصية. فالواحد يتحمّل الآخر طالما اقتضت مصالحه، و إذا لم تكن مصالحه تقتضي ذلك فسيكون على استعداد للقضاء عليه و إفنائه. هذا أيضاً نوع من المجتمعات. هذا المجتمع مجتمع جاهلي، و يختلف عن مجتمع تسوده مكارم الأخلاق و يسمّى المجتمع الإسلامي. ميزة بعثة رسول الإسلام (صلى الله عليه و آله و سلم) هي الدعوة لمكارم الأخلاق. و هذا عنصر و نقطة أخرى في الحياة الرسالية للنبي الأكرم (ص) و بعثته. إذن، يمكن في الواقع القول إن الأخلاق أحد الحدود و المميزات بين الإسلام و الجاهلية.

٤ – عدم تحديد النظرات و الهمم بالحياة الدنيا

نقطة أخرى نجعلها الأخيرة هي عدم تحديد النظرات و الرؤى بالحياة الدنيا. و هذه نقطة أساسية. من خصوصيات النظام الجاهلي هو أن أفراده يرون كل شيء ملخّصاً في الحياة الدنيا. إذا استطاعوا الحصول على شيء في الحياة الدنيا من قبيل الأكل و النوم و ما يحتاجه الإنسان، اعتبروا أنفسهم فائزين رابحين. أما إذا تقرر أن يجدّوا و يجتهدوا و يسعوا سعياً لا يحصل الإنسان على ثماره في هذه الدنيا، اعتبروا أنفسهم مخدوعين مهزومين خاسرين. هذه من خصوصيات الحياة الجاهلية. ليس في الحياة الجاهلية أن يعمل المرء عملاً يحتسبه عند الله و المعنوية و يوم الجزاء. و قد جعل الإسلام إحدى خصوصياته أن الحياة كلها و همم الإنسان كلها لا تتحدّد بالحياة الدنيا. هذه من خصوصيات البعثة و الوضع المقابل لها هو الجاهلية.[١]

أهمية الوحدة و ضرورة السعي الدؤوب لتحقيقها

من الصدقات الجارية للثورة الإسلامية و التي تحققت بفضل الذهنية الواعية لإمامنا الخميني الراحل (رضوان الله تعالى عليه) أن تعلن أيام ولادة النبي الأكرم (عليه و على آله الصلاة و السلام) أياماً للوحدة بين المسلمين. إن هذه القضية لافتة من حيث أن الوحدة الإسلامية من الآمال. البعض يراودهم حقاً هذا الأمل، و البعض يتحدثون فقط و كلامهم مجرد لقلقة لسان. على كل حال لا بدّ لهذا الأمل من طريق لتحقيقه

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و مسؤوليها بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٣١م.

عملياً.

ما من أمل يمكن أن يتحقق من دون سعي دؤوب و جدّ و جهاد. حين نفكّر بالسبل العملية لهذا الهدف و الأمل نجد أن من أفضلها و أعظمها هو هذه الشخصية الضخمة في عالم الخلقة أي الكيان المبارك لرسول الإسلام العزيز (ص)، و مركزيته لعواطف و عقائد العامّة من المسلمين. قد لا يكون لنا بين حقائق الإسلام و معارفه محور يتفق عليه المسلمون بكل آرائهم و عقائدهم و عواطفهم بهذه الصورة، أو أنه نادر جداً. فالعواطف لها دور كبير. ما عدا بعض الأقليات و الجماعات المنفصلة عن عامة المسلمين من الذين لا يعيرون أهمية للعواطف و لا يبالون للمحبة و التوجّه و التوسل، فإن عامّة المسلمين يحملون عواطف جيّاشة تجاه النبي الأكرم (عليه و على آله الصلاة و السلام). لذلك يمكن لوجود هذا الإنسان العظيم أن يكون محوراً للوحدة.

خصوصيات أعداء الإسلام و الصحوة الإسلامية في العصر الراهن

أريد اليوم بحضور مسؤولي البلاد رفيعي المستوى و الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي أن أركّز تركيزاً خاصاً على هذه النقطة.

أيها الإخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات.. الوحدة اليوم حاجة أكيدة و حاسمة للمسلمين. لأعداء الإسلام و المسلمين في الوقت الراهن خصوصيتان لم تكونا لهما طوال التاريخ. الأولى هي أنهم مجهّزون تجهيزاً كبيراً بالمال و السياسة و الإعلام و مختلف أدوات التأثير و النفوذ و الإضرار بالغير. من هم أعداء الإسلام؟ إنهم جبهة الاستكبار، من الصهيونية إلى أمريكا، إلى الشركات النفطية، إلى الكتّاب المرتزقة و المثقفين الذين يعملون لهم، و يتمتعون حالياً بكل المعدّات و الأدوات اللازمة. لم تكن الجبهة المعادية للإسلام مجهّزة بكل الأدوات اللازمة إلى هذا الحد الذي هي عليه اليوم.

الخصوصية الأخرى هي أن هذه الجبهة القوية المجهزة غدت اليوم حساسة جداً حيال الخطر الذي يمثله الإسلام و الصحوة الإسلامية لها. و هذه الحساسية ناجمة عن أنهم يرون أن الإسلام يستطيع أن يكون أكثر من مجرد توصية أخلاقية، و أن يظهر بمظهر الفكر الذي بوسعه إنشاء نظام. شاهد أعداء الإسلام أن الإسلام استطاع إيجاد

ثورة، و رأوا أن الإسلام تمكن من إيجاد نظام مستقر و ثابت، و شاهدوا أن الإسلام استطاع توعية شعب بذاته و إخراجه من حالة الانهزام النفسي و تحويله إلى حالة الاستقرار و الاعتماد على الذات و الاعتزاز بذاته و بدينه. وجدوا أن الإسلام يستطيع أن يمنح شعباً من القدرة و القوة ما يجعل كل تلك الأدوات التي ذكرناها كليلة عاطلة ضده.

بعد نحو سبعة عشر عاماً من انتصار الثورة و قيام نظام الجمهورية الإسلامية، اضطرت القوة الوحيدة التي تزعم أنها قوة عظمى في العالم لأن تتراجع أمام الجمهورية الإسلامية سياسياً و اقتصادياً. هذه حالة مشهودة في الوقت الحاضر، و لا تخفى عن أعين المحللين التابعين للاستكبار العالمي. اقتدار الإسلام راح يعبّر عن نفسه. هم لاحظوا أن أية فئة في العالم الإسلامي تنشد إصلاح مجتمعها و بلادها تتمسك بالإسلام. قبل انتصار الإسلام في إيران، كانت الجماعات التي تريد في مختلف البلدان رفع شعار الإصلاح تعتصم بالماركسية أو القومية المتطرفة، أما اليوم فحين ينظرون للبلدان الإسلامية يجدون أن المثقفين و الشباب و رجال الدين و الجامعيين و شتى فئات الشعب حين يريدون المناداة بالإصلاح يتمسّكون بالإسلام. هذا يعبّر عن القدرات و الإمكانيات العالية في الإسلام. هذا ما يراه العدوّ، و لذلك صار حساساً من الإسلام.

يقف العالم الإسلامي اليوم مقابل أعداء الإسلام و المسلمين الذين يتميّزون بهاتين الخصوصيتين: العُدّة و التجهيزات غير المسبوقة و الحساسية تجاه الإسلام أكثر من أي وقت مضى. فماذا سيفعل هذا العدو؟

أفضل وسيلة يمتلكها هذا العدوّ هي أن يزرع الخلافات بين المسلمين، خصوصاً بين الأجزاء التي يمكنها أن تكون ملهمة لسائر المسلمين. لاحظوا اليوم في البلدان الإسلامية المختلفة كم ينفقون من الدولارات النفطية و غير النفطية من أجل أن يضعوا الكتب و ينسبوا عقائد عجيبة غريبة للشيعة. في وقت من الأوقات جمعتُ عدداً كبيراً من هذه الكتب فوجدت أنهم كتبوا الكثير منها. تعمل و تجدّ أحذق العناصر الإعلامية لإعداد

و إصدار هذه الكتب الرامية لتأجيج الخلافات، و لفصل جزء من العالم الإسلامي رفعَ راية الإسلام، و تمثل إيران الإسلامية قمّته و ذروته – و كذلك بقية المناطق التي استطاعت بفضل الإسلام السير لحرب مصاعب الحياة و منازلة القوى العاتية – عن باقي أجزاء العالم الإسلامي.

في العالم الإسلامي اليوم الكثير من الأموال و الكثير من الأفكار، و طاقات بشرية جيدة، و عدد كبير من العلماء و الشعراء و الكتّاب و الفنانين و الشخصيات السياسية المبرّزة، و جزء كبير من المصادر المالية الهائلة و المصادر الجوفية العالمية – المعادن و المواد الجوفية التي منّ الله بها – موجودة في البلدان الإسلامية. و إذا كانت هذه الطاقات متعاضدة و في سياق واحد، أو لم تكن ضد بعضها على الأقل، لاحظوا ما الذي سيحدث في العالم! و العدو يعمل ما من شأنه أن تصطف كل هذه المصادر البشرية و المالية في العالم الإسلامي ضد بعضها. حرّضوا النظام العراقي و أشعلوا لثمانية أعوام حرباً مدمرة في المنطقة، ثمّ ساعدوه لاستئصال هذه الغرسة الفتية من جذورها استئصالاً تامّاً، و لم يستطيعوا ذلك طبعاً.

«**ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت**».. هذه هي سمة الكلمة الإسلامية، إنها عصيّة على الاستئصال.. «**و فرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها**». [1]

إنهم في الوقت الحاضر يبذلون قصارى جهدهم السياسي، لذا فإن استنتاجي و فهمي و تصوّري و توصيتي باعتباري خادماً و شخصاً يرى مؤامرة العدو و يشعر بها، توصيتي للإخوة المسلمين هو أن الاتحاد بين المسلمين ضرورة حيوية للمسلمين في الظرف الراهن. الاتحاد ليس هزلاً أو شعاراً. على المجتمعات الإسلامية أن تحقق اتحاد الكلمة في ما بينها بكل جد، و تتحرّك تحرّكاً متناسقاً موحّداً. و بالطبع فإن الوحدة قضية معقدة، و توفير الوحدة عملية معقدة. الاتحاد بين الشعوب الإسلامية حالة تنسجم مع اختلاف المذاهب و اختلاف أساليب الحياة و أعرافها و تقاليدها، و

---

١. سورة إبراهيم، الآيتان ٢٤ و ٢٥ .

كذلك مع اختلاف المناحي الفقهية. معنى الاتحاد بين الشعوب الإسلامية هو أن يتحرك المسلمون في اتجاه واحد في القضايا ذات الصلة بالعالم الإسلامي، و يساعد بعضهم بعضاً، و لا يستخدموا أرصدتهم ضد بعضهم.

شخصية النبي الأكرم (ص) و تعاليمه.. محور الوحدة بين مسلمي العالم

من الأمور التي يمكنها أن تمثل قطباً في هذا المجال هي الوجود المقدس للنبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). على المسلمين و المثقفين الإسلاميين أن يركّزوا على شخصية هذا الإنسان العظيم و تعاليمه و محبّته بنظرة شاملة مستوعبة للإسلام. من العوامل التي يمكنها أن تكون محوراً لهذه الوحدة و بوسع جميع المسلمين كلهم أن يتفقوا عليها اتباع أهل بيت الرسول. فجميع المسلمين يؤيدون أهل بيت الرسول. طبعاً الشيعة يعتقدون بإمامتهم، و غير الشيعة لا يعتبرونهم أئمة بمعنى الإمامة كما هي في المصطلح الشيعي، لكنهم يعتبرونهم من الشخصيات الكبرى في الإسلام، و أهلَ بيت الرسول و عائلته، و أصحابَ معرفة و اطلاع على المعارف و الأحكام الإسلامية. على المسلمين أن تكون لهم وحدة كلمتهم في خصوص العمل بكلمات الأئمة عليهم السلام و أهل بيت الرسول. هذه إحدى وسائل الوحدة.

طبعاً هذه عملية فنية تخصصية لها مقدماتها و ليست بالعملية اليسيرة. من هم من أهل الفن و الحديث و العلوم ذات الصلة بالحديث يعلمون ما هي مقدمات هذه العملية. يجب الاتفاق على معايير فهم الحديث و تلقيه و احتمالاته و معايير صحته و اعتباره. يجب الاتفاق على رجال الحديث. في الماضي عملت أجهزة الخلافة العباسية و الأموية بطريقة تخرج معارف أهل البيت من ذهنية العالم الإسلامي، لذلك قلّ ما نقلت رواياتهم. يروي المحدّث الحديث و لا فرق عنده في نقل الحديث عن الحسن البصري أو قتادة أو غيرهما. فلماذا لا ينقل عن جعفر بن محمد عليه الصلاة و السلام؟! أجهزة خلافة الرشيد و المأمون و المعتصم و المتوكل و أمثالهم هي التي منعت ذلك و أغلقت الطرق، و البعض كانوا يتهمون رجال الحديث. لذا من الأعمال التي يجب أن تنجز و تتم التصوّر المشترك بخصوص مقدمات الحديث. تقع على العلماء واجبات في هذا

الخصوص، و تقع على المفكرين الإسلاميين وظائف و واجبات على هذا الصعيد.

كم هو مؤسف و محزن أن يهتم ذهن المفكر الإسلامي الذي يجب أن يكتب لأجل عزة المسلمين و رفع راية الإسلام، بالمسائل الخلافية و بث الخلافات و خلق المعارك و الفواصل بين المسلمين، و أن يكتب و يعمل في هذا الاتجاه. يتهم هذا و يخرج ذاك من الدين! على علماء الدين واجبات كبيرة لتحقيق الوحدة و توفير مقدماتها. و ليس المقصود علماء جانب واحد، بل علماء الجانبين.

أيها الإخوة و الأخوات.. أحياناً يستخدم العدو من أجل خلق الفرقة و الخلافات – بين الشيعة و بين السنة – أشخاصاً قد لا يكونوا مغرضين قاصدين. تحدث في المجتمع شيعي أمور تثير حفيظة الإخوة المسلمين غير الشيعة و حساسيتهم. و مثل هذه الشيء يحدث في المجتمع السني في ما يتعلق بالأمور التي يتحسّس منها الشيعة و يكرهونها. من الذي يقوم بهذه الأعمال و الممارسات؟! هناك عدوّ واحد أمامنا اليوم، هذا فضلاً عن وجود كتاب واحد و سنة واحدة و رسول واحد و قبلة واحدة و كعبة واحدة و حج واحد و عبادات واحدة و أصول عقيدية واحدة في المجتمع الإسلامي. طبعاً ثمة اختلافات أيضاً. الاختلافات العلمية قد تقع بين اثنين من العلماء. و بالإضافة إلى كل هذا هناك عدو واحد أمام العالم الإسلامي. قضية الاتحاد بين المسلمين قضية جدّية. هكذا ينبغي التعامل مع هذه القضية. كل يوم تتأخّر فيه هذه القضية يخسر العالم الإسلامي.. و هذه الأيام بعضها حساسة إلى درجة أنها قد تؤثر لحقبة طويلة من الزمن. يجب أن لا تسمحوا بتأخّر الوقت و فواته.

لقد سارت الجمهورية الإسلامية في هذا الطريق من البداية بفضل من الله تعالى. و قد كان إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله عليه) رائد هذا الدرب، و بذل الكبراء و المسؤولين و الخطباء و الكتاب و الأجهزة المختلفة و المفكرون في العالم الإسلامي الكثير من المساعي. لا تسمحوا بضياع هذه الجهود.

نتمنى أن يعيننا الله تعالى، و يرسّخ الخطى و يثبت الأقدام و يهدي القلوب في هذا السبيل و يعاضد أيدي الوحدة فتلتحم بقوة و دفء، و يقرّب القلوب من بعضها أكثر

فأكثر إن شاء الله.[١]

بعثة النبي الأكرم (ص) يوم ولادة أعظم المفاهيم و القيم و أشرفها

يوم البعثة هو على التحقيق أعظم الأيام في تاريخ البشرية. إنه يوم ولادة أعظم و أشرف المفاهيم و القيم. بعثة النبي الأكرم (عليه و آله الصلاة و السلام) كانت خطوة عملية لأخذ البشرية من ناحية إلى الغاية و القمة في الكمال الفردي و الروحي و المعنوي، و أخذها من ناحية ثانية إلى سموّ الحياة الاجتماعية و إصلاح وضع المجتمعات. ما أهدي للناس في بعثة ليس مجرد عدد من المفاهيم الجافة و طريق ليس فيه سالك و لا من يمسك بزمام أمور الناس في هذا الدرب. منذ اللحظة الأولى تجسّدت هذه البعثة في وجود هذا الإنسان العظيم نفسه ثمّ في أرواح و أعمال المؤمنين بهذه الرسالة، و تلقت الجاهلية منذ البداية ضربة من هذه الرسالة فراحت تواجهها و تحاربها. هذه هي خصوصية بعثة الأنبياء.

و هذا الأمر لا يختصّ بنبوة الرسول الخاتم. يسير الأنبياء و يبرزون في أعمالهم ما يهدونه للبشرية على مستوى التعليم. هم أنفسهم أول من يسير في هذا الدرب.

«**يعلمهم الكتاب و الحكمة**»[٢] فرع على أن علم الكتاب و الحكمة متوفر في الوجود المقدس للنبي الأكرم بدرجاته العليا. «**يزكيهم**»[٣] فرع على أن ذلك الكيان المطهّر، زاكٍ متزك بأرفع درجات التزكية الممكنة في الطبيعة البشرية. و بهذه القوة و الطاقة يستطيع السير بعالم كامل نحو التزكية. هذا هو الشيء الذي لا نصيب لقادة المدارس المختلفة و رواد المفاهيم الفلسفية و الاجتماعية و السياسية المتنوعة منه. هؤلاء أشخاص تخطر ببالهم أمور و يفهمون في عالم التصور بعض الأشياء فيروونها للناس و ينقلوها إليهم. و بعض الناس يتعلمون منهم و بعضهم لا يتعلمون. هذا يختلف عن

---

١. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في الدولة و الضيوف الأجانب المشاركين في المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٥/٠٨/١٥ م.

٢. سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

٣. م س .

درب الأنبياء الذي تكون فيه الحركة هي السابقة و الممارسة العملية هي المتقدمة، و يكون تحقيق الشعارات التي تجري على ألسنهم مشهوداً في أعمالهم و ممارساتهم منذ بداية الشوط. و هذا ما حصل تحديداً في حياة النبي الأكرم (ص).

بدأ التعليمُ و التزكية و السيرُ في سبيل أقامة القسط منذ اللحظة الأولى. و لذلك بدأت الصدامات و المعارضات منذ اللحظة الأولى. منذ أن وسّع النبي الأكرم (ص) من دعوته استجابة للنداء الربّاني، «**و أنذر عشيرتك الأقربين**»[1] و إلى حين نشرها و إعلانها على عامة الناس، و إلى حين حركته باتجاه النظام الاجتماعي — و هو نظام العدل — و إقامته هذا النظام. طبعاً ما نشاهده و نصفه في البعثة هو السياق الظاهري للبعثة. أما تلك الحقيقة الإلهية و الملكوتية و الشيء الذي يحدث بين الخالق المتعال و إنسان ممتاز مختار فهو خارج حدود طاقاتنا الذهنية و لا ندري ما الذي حدث. الحدث من هذه الناحية عظيم إلى أبعد الدرجات و خارج حدود تصوراتنا. ما نراه و يمكننا أن نتصوره، يفهم منه كل إنسان بمقدار فهمه و تدبّره، و تترك هذه الحادثة تأثيراتها على المتلقين و البشر و العالم المحيط بها.

هدفان واضحان للبعثة:

منذ بداية وقوع هذا الحدث كان فيه شيئان اثنان كهدفين واضحين: أحدهما إيجاد التحرك الداخلي و الروحي و النفسي لتوجيه باطن الإنسان نحو الله تعالى. هذه هي النقطة الأولى. إنها قضية الإيمان و التوجّه لخالق العالم و ربّه، و على حد تعبير الكثير من الآيات القرآنية «الذكر». ما يمنحه الله تعالى للبشر بالدرجة الأولى عن طريق البعثة هو الذكر و التذكّر و وعي الإنسان لنفسه. هذه هي الخطوة الأولى. و ما لم تحصل هذه الخطوة فلن يتحقق أي من أهداف النبوات و البعثات. «**إنما تنذر من اتبع الذكر**»[2] الذي يوفر في نفسه هذا الذكر و يتبعه سيكون بعد ذلك جديراً بالإنذار و الإصلاح و الإرشاد و التكامل و الكفاح في سبيل الأهداف الاجتماعية. هذه هي

---

١. سورة الشعراء، الآية ٢١٤ .

٢. سورة يس، الآية ١١ .

الخطوة الأولى.

حين تغفل الإنسانية عن المعنويات فسوف تنغلق في وجهها كل أبواب الإصلاح و الصلاح. انظروا للعالم المادي اليوم! ما يمكن أن يعدّ في العالم المادي اليوم مفتاح كل الإصلاحات و السعادات هو أن يصحو الناس على أنفسهم و يتذكروا و يبحثوا عن هدف الخلقة من وراء هذه الظواهر المادية، إذ ينبغي أن يفتشوا وراء هذه الظواهر المادية للحياة و المتمثلة بالأكل و النوم و الشهوات و السلطة و المال و ما إلى ذلك عن حقيقة معينة. انتظار إلهام معين و توقعه. الإصغاء إلى أوامر مصدر و مبدأ حاكم و قادر و صاحب تحكّم من وراء الغيب. هذا هو أصل القضية. و على حد تعبير القرآن الكريم أيضاً فإنه «الإيمان بالغيب»: «**الذين يؤمنون بالغيب**».[1] ينبغي أن لا يغرق البشر في هذه الظواهر المادية للحياة، و أن لا يختزلوا الحياة في هذا الأكل و النوم و الشهوات و الميول البشرية و السلطة و الرئاسة و ما إلى ذلك. هذه هي الهدية الأولى التي تقدمها البعثات للبشرية و هو أول أهداف الأنبياء.. أن يذكّروا البشر و يمنحوهم الإيمان، و الإيمان هنا الإيمان بالغيب.

الهدف الثاني الذي رنا إليه الرسول منذ اللحظة الأولى هو توفير بيئة سليمة و نزيهة لمعيشة الإنسان و تفاعل الحياة البشرية. عالم لا يكون فيه ظلم و تمزيق للضعيف من قبل القويّ. عالم لا يكون فيه حرمان و إخفاقات مطلقة للضعفاء، و لا تسوده قوانين الحروب. و هذا هو ما يسمّى في المصطلحات القرآنية و الحديثية و الدينية «القسط و العدل». و هذا هو أكبر آمال البشر. أكبر آمال البشر منذ فجر التاريخ الإنساني (أي منذ أن أكتسب الإنسان شيئاً من التعقل و التفكير و راح ينظم أمور حياته و يرتبها) و إلى يوم البشر هذا هو طموح تحقيق العدالة. إذا كان البعض يرفعون شعار السلام، و السلام بالطبع شيء حسن جداً، فإن السلام حسن حين يكون سلاماً عادلاً. و الكثيرون يختارون الحرب من أجل تحقيق العدالة، فيقاتلون في سبيل العدالة. لذا يتبين أن العدالة أهم و أرقى من السلام. و هذه هي الحقيقة.

---

١. سورة البقرة، الآية ٣ .

٢ – تحقيق مجتمع سليم و عادل

حياة البشر من دون عدالة هي الشيء الذي تلاحظونه في أقبح وجوه التاريخ البشري. و هو شيء يلاحظ اليوم أيضاً هنا و هناك من العالم. كل التعاسات التي تشاهدونها في شتى المجتمعات راهناً ناجمة عن الظلم و انعدام العدالة. قد لا تفصح ظواهر الأمور عن هذا الشيء، لكن باطن القضية هو هذا. إذا كنتم تشاهدون الأطفال يموتون من فقدان الغذاء في رقعة من العالم فظاهر القضية هو أن هذا حصل بسبب عدم هطول الأمطار و الجفاف، لكن باطن القضية شيء آخر. باطن القضية هو انعدام العدالة. لو كان العدل سائداً في ذلك المجتمع منذ الأجيال السابقة و إذا كانت العدالة سائدة على بيئة الحياة البشرية لاستطاع الإنسان في ظل هذه العدالة أن يشيد حياته بطريقة مقبولة بحيث لا يعاني أبناؤه من البؤس و التعاسة و لا تكون الحياة على هذا القدر من القبح و الآلام. الناس يصابون بهذه الأمراض و الآلام نتيجة انعدام العدالة.

تأمين العدالة هو أول أهداف الأنبياء كلهم إلى جانب قضية «الذكر» التي أشرنا لها. هذان هما الهدفان الرئيسيان. طبعاً أحدهما أهم من الثاني، ألا و هو قضية الذكر. فالذكر هو أساس القضية و جذرها. إذا كانت الغفلة فلن يحصل شيء و لن تتحقق العدالة. لذلك لاحظتم الأنظمة و الأشخاص الذين نادوا بالعدالة الاجتماعية أخفقوا في إهداء مجتمعاتهم شيئاً من سنخ العدالة. بلى، منحوهم أشياء أخرى، من قبيل فتح الفضاء و الصواريخ العابرة للقارات، لكنهم لم ينجحوا في تكريس العدالة الاجتماعية في مجتمعاتهم! فالعدالة الاجتماعية تحصل في ظل إصلاح الإنسان و إصلاح النفوس و البواطن و في ظل التوجّه لله و ذكره. هذان كانا هدفي الرسول الأكرم (ص) و قد استطاع تحقيقهما، و إنْ في دائرة محدودة.

لقد أوجد مجتمعاً ذاكراً لله و واعياً و يتمتع بالحد الأعلى من العدالة الاجتماعية. قد يحصل في زاوية من زوايا ذلك المجتمع أن يظلم إنسان إنساناً، بيد أن هذا ليس ملاكاً لانعدام العدالة. ملاك وجود العدالة أو انعدامها هو استقرار العدالة الاجتماعية

و سيادتها و تكريسها. في المجتمع الذي يكون فيه القانون و السلطة عادلين و الحاكم عادلاً و النوايا نوايا عادلة تتجّه المسيرة العامة صوب العدالة الاجتماعية. قد يجري طيّ هذا الطريق و الفراغ منه عاجلاً أو آجلاً، و قد يستغرق ذلك مدة من الزمن، لكنه سينتهي أخيراً إلى العدالة الاجتماعية. لقد أوجد الرسول الأكرم (ص) مثل هذا الوضع و الواقع. لم يطق و لم يوافق صلوات الله و سلامه عليه و آله أدنى انعدام في العدالة. عرض النموذج الصالح و قد شهدنا إلى فترات طويلة بعد رحيله (ص) آثار تلك التربية في المجتمعات الإسلامية، و شهدنا خلال فترة خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) نفس تلك العدالة المطلقة متجسدة في شخص الحاكم المطهّر العظيم في العالم الإسلامي آنذاك.

هاتان الخصوصيتان من سمات البعثة. إننا إذ نحتفل بالمبعث فلإحياء هذه الخصوصيات. نحتفل لإحياء الشخصيات و الدروب و الطرق و الأحداث و استلهام الدروس و العبر منها.[1]

ولادة رسول الإسلام (ص) رحمة إلهية دائمة على البشر

كان هذه الولادة الكبرى ولادة أرقى نموذج للرحمة الإلهية على البشر. لأن وجود هذا الإنسان العظيم و إرسال هذا الرسول الكبير كان رحمة الحق تعالى على عباده. كانت ولادة الرحمة. «**و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم**».[2] يا لها من أعباء ثقيلة كانت على عاتق كل أبناء البشر في ذلك الحين! يا لها من أغلال مجهدة ضُربت في تلك الأزمنة على أعناق الإنسانية! و كذا الحال اليوم أيضاً. لو قال قائل إن الأعباء التي تثقل على عاتق البشرية راهناً ليست بأقل من الأعباء الجسيمة التي كانت تثقل على عاتق الناس الجاهليين في جزيرة العرب يومذاك، لما قال شططاً. الظلم الذي يمارس ضد أبناء البشر، و الحقوق التي تُغمط في المجتمعات البشرية، و تغليب الماديات

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف بتاريخ ١٩٩٥/١٢/٢٠ م.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

في حياة الإنسانية و إقصاء المعنويات عن بيئة الحياة البشرية، و هي أمور تفرض في الوقت الحاضر على أبناء الإنسانية بالقوة و بأساليب مختلفة، هذه كلها أعباء على عاتق البشرية. ما تشعر به البشرية اليوم في حقبة الحضارة الصناعية و تحت إشعاعات المادية البرّاقة الخادعة أثقل و أصعب – و في بعض الأحيان – أمرّ مما كان الناس يشعرون به و يثقل على كواهلهم في ظلمات الجاهلية عند ظهور الإسلام!

حاجة المجتمع البشري لتعاليم الإسلام

إذا تنبّهت الإنسانية في هذا العصر لهذه الرحمة – رحمة وجود الإسلام و رحمة التعاليم النبوية و ينبوع الوحدة الفيّاض – و وجدتها و روّت ظمأها منها، فسوف تزول المشكلة الأكبر للبشر. مع أن الحضارات الموجودة في العالم اليوم قد استفادت بلا شك من تعاليم الإسلام، و لا مراء أن ما يوجد من صفات و أساليب جيدة و مفاهيم سامقة بين البشر مستمدة من الأديان الإلهية و تعاليم الأنبياء و الوحي السماوي، و جزء كبير منها يعود للإسلام، لكن البشرية اليوم بحاجة للمعنوية الإسلامية، و النقاء و الخلوص الإسلاميين، و المعارف الجلية الواضحة و الحقة و الجذابة في الإسلام، و التي يتقبلها و يفهمها كل قلب منصف. و لهذا اكتسبت الدعوة الإسلامية في العالم أنصارها، و تقبّل الكثير من غير المسلمين الدعوة للإسلام. و تقبّل دعوة الإسلام لا يعني بالضرورة تقبّل الدين الإسلامي و الدخول فيه رسمياً. إنما هذه مرحلة من تلك المسيرة. و مرحلة أخرى هي أن يتقبّل الناس في العالم رسالة الإسلام و معارفه و حقائقه و اقتراحاته بخصوص هذه المسألة أو تلك. اليوم حينما تقف الشعوب أمام رسالة الإسلام تشعر بأشياء مفيدة لها و تملأ فراغات حياتها. ما يطرحه الإسلام حول قيمة الإنسان و أهميته و أهدافه، و ما يقوله الإسلام حول العائلة و المرأة و أهداف العلم و العلاقات بين المجتمعات و العلاقات الاجتماعية بين الأقوياء و الضعفاء، أشياء عندما ينظر لها الذين يعيشون تحت مظلة الحضارات المتنوعة يشعرون أن عقد حياتهم تنحلّ بهذه الأشياء و تزول. لذا فإن رسالة الإسلام لها جاذبيتها. و لهذا السبب فإن تعامل الاستكبار العالمي و الأجهزة الإعلامية العالمية – المرتبطة بمراكز التعسف و الظلم و

محاربة الإنسان – مع رسالة الإسلام تعامل عنيف شديد الخصومة.

منذ أن تأسس نظام الجمهورية الإسلامية – الدالّ على تحقق الإسلام على مستوى الحياة في بلد من البلدان و الذي يثبت تحقيق الاقتراح السياسي للإسلام – في بقعة من بقاع العالم، و ظهرت الجمهورية الإسلامية في إيران، تضاعفت الخصومات ضد الإسلام و القيم الإسلامية من قبل القوى الظالمة المستكبرة على مستوى العالم. طالما كان الإسلام في المساجد و في زوايا القلوب، و ما لم ينزل الإسلام إلى ساحة السياسة و الكفاح و الحكم و الميادين الدولية الكبيرة، لم تكن أقطاب الظلم و الطغيان العالمية تشعر بالخطر منه حتى تشتبك معه و تصطدم به. و منذ أن رفع النظام الإسلامي راية الحكم في هذا البلد، و استجاب المسلمون من أقطار العالم لنداء الإمام الخميني الراحل العظيم (رضوان الله عليه) و أبدوا ميولهم و حبّهم نحوه، و سارت جماعات كثيرة في هذا الاتجاه، و غدت شعارات إحياء الإسلام ثانية شعار الساعة لدى المسلمين، من حينها ازدات الخصومات ضدهم و تضاعفت.[١]

البعثة.. نقطة انطلاق البشرية في مسيرتها التكاملية

في إطار تقييم واقعي يجب القول حقاً إن ما حدث في مثل هذا اليوم – في لحظة بعثة نبي الإسلام المكرّم – هو أكبر حدث في تاريخ البشرية، و قد ترك آثاره على حياة الإنسانية. قضية البعثة قضية جد عجيبة و مهمة و زاخرة بالأحداث و المعاني و ممكنة الدراسة و التأمل و التدقيق.

و بالطبع فإن جميع البعثات على هذه الشاكلة. كل الأنبياء الإلهيين مرّوا بمرحلة مهمة في امتحاناتهم بخصوص البعثة. عند بعثة النبي موسي و عند بعثة النبي عيسي و عند بعثة النبي إبراهيم و غيرهم من الأنبياء العظام حصل شيء هائل جبّار، لكن بعثة خاتم الرسل و الأنبياء (ص) لها خصوصيات لا يمكن أن نقع لها على نظير.

في الوقت الراهن و بمناسبة المسؤولية الكبرى التي ألقاها الإسلام على عواتقنا – نحن الشعب الإيراني – تجاه البشرية، بودّي أن أذكر نقطة حول البعثة. عسى أن تحضّنا

---

١. من كلمته في لقائه رؤساء السلطات الثلاث و مدراء النظام الإسلامي و الضيوف الأجانب المشاركين في المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٦/٠٨/٠٣ م.

إن شاء الله على تحرك و جهود مناسبة في هذا المجال و تدفعنا لمواصلة المسيرة.

ينبوع البعثة.. هذا الذي تفجّر في مثل هذا اليوم في القلب المقدس للنبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) و جرى منه، له مسار مهم. أي إن القضية لم تختتم في حدود أن الله تعالى فجّر حقيقة و نوراً في قلب إنسان ممتاز مختار. فهذه هي الخطوة الأولى و بداية الأمر. و بالطبع فإنه أهم أجزاء القضية. تألق هذا النور في القلب المقدس المبارك للرسول الأكرم (ص) و تحمّل مسؤولية الوحي من قبل الخالق العظيم، هو الجزء الذي يربط بصراحة عالم الخلقة و الوجود الإنساني و العالم المادي بمعدن الغيب. هنا حلقة الوصل. مع أن البركات و الخيرات الإلهية كانت دائمة على طول هذا السياق و المسيرة التي سنتحدث عنها، تفيض على البشرية بالنور و الخير في طريقها، لكن حلقة الوصل إنما كانت في لحظة البعثة حيث تنزلت الحقائق الإلهية من معين الغيب في البعثة – و هذه الكلمة لوحدها تكفي – على الروح المقدسة للرسول الأعظم (ص) و جرت و تفجّرت في قلبه المقدس. إذن، الخطوة الأولى هي حصول هذه البعثة.

تنفتح باب من الحقائق على هذا الإنسان الملكوتي، فينطلق و هو المستعدّ للامتحان و لتحمّل الأعباء و المشاق و المصائب، في مسيرته الكبرى منذ تلك اللحظة الأولى. لذا فإن قضية البعثة تختلف عن قضية التعليم، أي إنها سابقة على التعليم. طبعاً مائدة التعليم و التربية الإلهيين ممدودة دوماً للأنبياء و للأولياء.. «**و علّم آدم الأسماء**»،[1] و قد كانت ممدودة إلى آخر المطاف.

تعليم و تأديب الرسل باعتبارهم تلامذة الباري عزّ و جلّ الخواص حالة موجودة، لكن البعثة هي شيء يأتي بالإضافة إلى ذلك التعليم. ثمة في البعثة تعليم و تهذيب و تزكية. و فيها إتيان بالكتاب و الحكمة. لكنها لا تقتصر على هذه الأمور، إذ ثمة شيء بالإضافة إلى ذلك هو البعثة و الإرسال للناس.

يبعث هذا الإنسان ليستثمر الرصيد الذي منح له و يأخذ بواسطته البشرية إلى الهدف الذي يجب أن تصل إليه. أي إنه يبدأ المسيرة و الحركة. هذا هو معنى البعثة. و

---

١. سورة البقرة، الآية ٣١ .

بعد أن تبدأ الخطوة الأولى و المسيرة بتدفق الوحي الإلهي على القلب المقدس للرسول الأعظم (ص) و تحمّله هذا الوحي، يبدأ مضمون البعثة – و هو مضمون جديد و معنى صناعة عالم جديد و إسقاط المؤسسات الباطلة و الظالمة و العدوانية – أي تحقيق البعثة في الواقع الخارجي، و هو ما يحتاج إلى الكفاح.

كفاح الرسول (ص) ثلاثة و عشرين عاماً لإبلاغ الرسالة الإلهية

و بالتالي فإن الخطوة الأولى من بعد البعثة هي النهضة و الكفاح و الحركة. ما من نبي استطاع من دون كفاح قطع هذا الطريق و إيصال هذه الأمانة إلى مقصدها و إبلاغ هذه الرسالة للناس. الناس التي تحصل البعثة بينهم و في أوساطهم و بيئتهم لا يتقبلون ذلك العالم الجديد الذي تقترحه البعثة عليهم بسهولة. لذلك تنطلق حالات المعارضة للرسول، و الأنبياء هم أكثر الناس أعداءً ممن يحملون أعباء أمانات حقة، و قد واجهت البعثة منذ يومها الأول هذه الخصومات و العداوات، و كفاح النبي الأكرم (ص) انطلق منذ اليوم الأول، و استمر هذا الكفاح إلى لحظة وفاة النبي الأكرم (ص) على مدى ثلاثة و عشرين عاماً.

لاحظوا أية سنوات مباركة كانت هذه الأعوام الثلاثة و العشرين. ثلاثة و عشرون عاماً ليست بالعمر الطويل أو الزمن الكثير. قد تعرفون الكثير من الأشخاص لا يستطيعون طوال عشرين عاماً أو على مدى ثلاثة و عشرين عاماً أو خمس و عشرين سنة أن يقوموا حتى بعمل واحد جدير بالذكر. عادة ما تمرّ الأعمار و يقضيها أصحابها بالشؤون الفردية الشخصية. لو نظرتم في حيوات الشخصيات الكبرى – العلماء أو الفلاسفة أو السياسيين – فسترون حدود إنجازاتهم و أعمالهم طوال ثلاثة و عشرين عاماً – طبعاً على اختلاف قدرات الأشخاص و إمكانياتهم – و ستجدون أنهم لم يقوموا بالضرورة بأعمال كبيرة جداً. و لكن لاحظوا بركات هذه الأعوام القصيرة و ثلاث و عشرين سنة قضاها الرسوم الأكرم (ص) بعد البعثة، كم هي كبيرة و مباركة! استطاع في قلب الجاهلية و في قلب القرون الجاهلية العالمية – لا في المنطقة الجاهلية و حسب بل في القرون الجاهلية للبشرية و تراكم ظلمات الجهل – أن يشيد صرحاً و

يضيئ مشعلاً سيزداد نوره طوال التاريخ يوماً بعد يوم، و يهدي مزيداً من البشر و يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم.

دور تأسيس الحكومة الإسلامية في توفير المناخ العادل السليم

بدأت هذه المسيرة و استمرت ثلاثة عشر عاماً كمرحلة أولى من حياة النبي خلال فترة البعثة، إلى أن انتهت بتأسيس نظام حكم. إذن، الخطوة التالية هي تأسيس نظام حكم قائم على أساس أفكار البعثة و محتواها. و بهذا تدركون بشكل واضح أن أقوال الذين يحاولون إظهار الدين و خصوصاً الدين الإسلامي منفصلاً عن الحكم، إنما هي أقوال خاطئة. و طبعاً كل الأديان من هذه الناحية على سياق واحد، بيد أن هذه الدعوى بشأن الإسلام عجيبة جداً أن يريد البعض فصل الدين الإسلامي عن الحياة و السياسة و إدارة البلاد و نظام الحكم، و يستبعده و يفصل بين هذا وذاك. منذ اليوم الأول الذي ظهر فيه الإسلام سار في كفاح عسير نحو تأسيس نظام حكم و مجتمع معين. و بعد ثلاثة عشر عاماً استطاع النبي الأكرم (ص) تأسيس هذا النظام، طبعاً لا في مدينته الأصلية و مسقط رأس البعثة، و لكن في منطقة أخرى من العالم يومذاك.

هذه هي الخطوة الثانية بعد ذلك الكفاح الطويل. توفير بيئة و مناخ و نظام على أساس هذه الأفكار. ما لم تكن لهذا النظام و هذه السلطة أرصدتها من الأفكار الإلهية و الإسلامية لا يمكن نشر الأفكار و الأحكام و المفاهيم الإلهية في حياة البشر. و هذا تحديداً على الضد من الرأي الخاطئ للذين يزعمون أن السلطة إذا امتزجت بالدين فسد الدين.

لا، القضية على العكس من ذلك.. إذا كان الدين مصحوباً بالاقتدار و السلطة فسيستطيع أن ينتشر و يتسع نطاقه، و تتحقق أهدافه و طموحاته، و تتوفر في المجتمع المبادئ و المثل التي يرفع الدين شعارها. و هذا غير متاح من دون الاقتدار و السلطة. إنما هو ممكن بالسلطة. مثلاً، هل تتصوّرون أن من الممكن توفير العدالة الاجتماعية في المجتمع بالنصيحة و التوصيات و التوسلات و الرجاء؟! و هل يمكن تحقيق و توفير العدالة الاجتماعية و القضاء على التمييز و المساعدة على تكريس المساواة أمام القانون

من دون سلطة على مستوى المجتمع بشكل ما، و على مستوى العالم بشكل آخر؟!

ما أن تقال كلمة حق في العالم حتى توجّه لها القوى العالمية ضرباتها إذا شخّصت أنها من القوة و الأهمية بحيث يجب توجيه ضربة لها. إلّا إذا اعتبروها ليست من الأهمية و الخطر بحيث تستحق أن يوجّهوا لها ضرباتهم! و قد كان الوضع على هذه الشاكلة دوماً، و الأمر لا يختصّ بالوقت الحاضر، حيث ترون أنه أين ما ارتفع صوت الإسلام و الفكر الإسلامي حتى راح المستكبرون و أصحاب الرساميل و الشركات في العالم يدققون ليروا ماذا يقول حذراً من أن تهدّدهم بعض الأخطار!

لقد كان الأمر دوماً أنه متى ما خرجت كلمة حق من لسان، أو قرّر قلب أو روح أو إنسان كبير أن يوصل كلمة الحق هذه للأسماع، و إذا بالجدران و الأسوار و القبضات الحديدية تنهال فجأة من قبل الأعداء و المعارضين و تصطف أمامه و تنشئ جبهة معادية مقابله. و طبعاً يُهزمون و يُندحرون، فالباطل يُهزم مقابل الحق، و هذا مما لا شك فيه. إذا صمد الحق فلا شك أن الباطل سوف يندحر و يهزم، على أن المراد هو أنه من دون كفاح و جهود و السلطة لا يمكن تحقيق الأفكار و المبادئ و الطموحات الدينية، بل و أية مبادئ و طموحات. و بالطبع يمكن تحقيق بعض الأشياء و الأمور بالنصيحة و الكلم الطيب و الموعظة الحسنة.

و عليه سعى الأنبياء أيضاً لتأسيس حكومات. و أوضح النماذج على ذلك هو رسولنا الكريم (ص) الذي كافح و عمل منذ اليوم الأول، و ركّز همّته على تأسيس نظام إسلامي، إلى أن تمكّن من ذلك في يثرب. ثم راح يدافع عنه، و وسّع النطاق و استمرت هذه الحركة إلى سنوات متمادية.

السير نحو تحقيق المبادئ معيار سلامة الحكومة الإسلامية و اعتبارها

إذن، الخطوة اللاحقة هي تأسيس نظام الحكم. على أن تأسيس نظام الحكم ليس هدفاً. هنا تكمن النقطة الأساسية. تأسيس نظام الحكم إنما هو من أجل تحقيق الأهداف و المبادئ. إذا تأسست الحكومة و لم تسر باتجاه تحقيق المبادئ فهي حكومة منحرفة. هذه قاعدة كلية، و هي المعيار. قد يطول تحقيق المبادئ و الأهداف سنوات، و قد تعتور المسيرة عقبات و مشكلات، إلا أن اتجاه نظام الحكم – اتجاه و مسار هذه السلطة التي تأسست – يجب أن يكون بالتأكيد صوب تلك الأهداف و المبادئ و المطامح التي رفعت شعاراتها و ترفع، و الواردة في نصوص القرآن الكريم والأحكام الإسلامية. إذا لم تكن مسيرة السلطة بهذا الاتجاه فهي بلا ريب حكومة منحرفة. المعيار هو توفير العدالة الاجتماعية و النظام المستند إلى القانون، و تكريس الأحكام الإلهية في كل مكان.

إذا تكرّست المقررات و الأحكام الإلهية، و توفر النظام المعتمد على الإسلام، و تحققت العدالة الاجتماعية، يكون قد تحقق هدف متوسط أو في الواقع تكون إحدى مراحل الدرب قد قطعت. و المرحلة التالية هي أن يجد الناس الذين يعيشون في هذا النظام بطمأنينة و بلا هموم و في ظل العدل، الفرصة و الشوق للتخلّق بالأخلاق الحسنة. هذا هو ما أردت اليوم التشديد عليه، و أريد أن أقول إنه هو الهدف بعد تأسيس نظام الحكم. بل هو الهدف بعد تأسيس النظام العادل و تكريس العدالة الاجتماعية و الحكومة الإسلامية الحقيقية. هذا هو الهدف اللاحق.

تخلّق الإنسان بالأخلاق الحسنة؛ الهدف الغائي من تأسيس الحكومة الإسلامية

يجب أن يتخلق الناس بالأخلاق الحسنة، و طبعاً التخلق بالأخلاق الحسنة يؤدّي إلى السمو والتكامل المعنوي و الروحي و المعرفة الأرقى، و هي من أطوار الإنسان الكامل. و نحن لا نستطيع حتى أن نفكر فيها بصورة صحيحة، إنما سمع المرءُ من أهله و كبرائه بعض الأشياء. الطور الذي يتعلق بنا هو طور الأخلاق.. الأخلاق.. الأخلاق. لاحظوا أن الرسول الأكرم (ص) قال: «**إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1] و هذا حديث مرويّ بطرق الفريقين من شيعة و سنة.

هذه الـ «إنما» لها الكثير من المعنى. أي إن البعثة هي أساساً لهذا الغرض، و هذا هو الهدف من البعثة، و باقي الأمور مقدمة. «**لأتمّم مكارم الأخلاق**».. من أجل استكمال مكارم الأخلاق بين البشر و أفراد المجتمع و الناس و هذه الأمّة، و إنمائها و ترشيدها و نشرها بين الجميع ليكون الكل بشراً بالمعنى الحقيقي للكلمة.

يجب أن نكون بشراً آدميين. يتعيّن أن نعزز و نستكمل في أنفسنا الأخلاق الإنسانية. هذه هي الخطوة التالية المهمة جداً. في المجتمع الإسلامي، و في النظام الذي تكون أركانه أركاناً إسلامية، إذا كنا مبتعدين عن الأخلاق الإلهية، و نلهث وراء أهوائنا و نزواتنا و أنانيّاتنا و عبادتنا لذواتنا، و يحاول كل واحد أن يغتصب و سلب من هذا و ذاك من أجل أن يحصل على أكثر و يأكل و يعيش أفضل، و ينال إذا اقتضت الضرورة أكثر من حقه، و لا يكون هناك صفح و لا تجاوز و لا إيثار، فأيّة حكومة ستكون هذه؟! أيّ إسلام و أيّ مجتمع إسلامي سيكون هذا؟!

هذا هو إذن أساس القضية: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».

أعزائي، اعلموا أن العالم اليوم بحاجة لهذا. العالم المادي للأسف محروم من هذه الخصوصيات تماماً!

أما الأخلاق الإلهية و مكارم الأخلاق فقد جرى إيضاحها و تفصيلها في الشرع الإسلامي المقدس. سواء الأمور التي تتعلق بالإنسان نفسه –كالصبر و الشكر و الإخلاص و القناعة – أو ما يرتبط بعلاقة الناس في ما بينهم – مثل الصفح و التجاوز

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

و التواضع و الإيثار و تكريم الآخرين – أو الأمور ذات الصلة بكل المجتمع الإسلامي. للأخلاق الإسلامية مديات واسعة جداً. هذه هي الأمور و الخصال التي بذل الأنبياء و الأولياء و عظماء الأديان الإلهية – و نبيّ الإسلام الكريم (ص) و الأئمة العظام في الدين الإسلامي – جلّ جهودهم لأجلها و لأجل تحقيقها.

طبعاً في حكومة الجور قد يكون وجود هذه الأشياء نادراً جداً و من الصعب حصولها. فكما قلنا في النظام الذي يتأسس على الظلم و الباطل و الماديات – و مثال ذلك الحكومات الطاغوتية في العالم – من الطبيعي لا تتوفر مثل هذه الأحوال بسهولة. و لكن في النظام الإسلامي يمكن حصولها و توفرها بسهولة أكبر، و العالم اليوم بحاجة لهذه السجايا و الخصال.

على مجتمعنا أن يقوم بتحرّك أساسي كمتمّم أصلي للثورة الإسلامية الكبرى، و لهذا التحرّك الكبير مرحلتان: الأولى استقرار النظام و نشر الأخلاق الإسلامية بيننا، و تحويل أخلاق الناس إلى أخلاق قيمية، فتكون هذه الأخلاق قيماً عند الناس. فقد سقطت هذه الأمور عن كونها قيماً طوال فترة حكم الطاغوت في هذا البلد. الإنسان الصادق يُنظر له على أنه ساذج في أعين ذوي النظرات الناقصة القاصرة. إنه صادق أي يقول كل ما يعلم. لكن الإنسان الصالح و المنضبط و الدقيق هو الذي لا يصدق في الكلام، و يغيّر الحقائق و يستطيع أن يحتال و يغش! هذا هو تغيّر القيم. هذا ما حصل طوال فترة حكم الطواغيت و الملوك الظلمة الجائرين الفاسدين المعادين للأخلاق، و للأسف تضعضعت الأسس و المؤسسات الأخلاقية في بلادنا بدرجات كبيرة.

طبعاً ساعدت الحركة الثورية على استعادة المؤسسات الأخلاقية و الأسس و المعنويات الأخلاقية في المجتمع لعافيتها، و بثت فيها روحاً جديداً، و لكن لا بدّ من السعي أكثر. هذه هي المرحلة الأولى.

أما المرحلة الثانية فهي أن تعلموا هذه الأمور للعالم. فالعالم اليوم بحاجة لهذه الأخلاق و القيم. البشرية على مستوى العالم تعاني من غياب الأخلاق. و الإسلام و المسلمين بوسعهما تقديم أفضل هدية أخلاقية للشعوب و البشرية.

دور الاستكبار العالمي في الوضع المؤسف للمجتمع البشري راهناً

للأسف، أعظم جرائم الاستكبار العالمي اليوم هي أنها تنشر و تشيع الكذب و الخداع و الغش و الباطل في العالم بسلوكها. لاحظوا حالياً في الحكومات المستكبرة في العالم، و الحكومة الأمريكية على رأس كل الحكومات المستكبرة، و سترون فيها أفراداً مارسوا أكبر قدر من الاغتيالات في أنحاء العالم. روي في الآونة الأخيرة أن أحد الساسة الأمريكان ادّعي أن القتلى و المفقودين الذين لفتوا أنظار العالم إليهم في غواتيمالا، قتلوا على يد السي آي أي. منظمة التجسّس الأمريكية السي آي أي تصطاد المعارضين السياسيين واحداً واحداً و تقضي عليهم فيفقدون، و يتكشف الأمر الآن!

في كل مكان من العالم و خصوصاً في أمريكا اللاتينية و الكثير من أرجاء العالم يمارس هؤلاء الاغتيالات و الإرهاب و قتل البشر، و يدبّرون الإنقلابات و يرتكبون الجرائم. و في إيران شهدنا بأنفسنا هذه الحالات و رأيناها. و كذا الحال في مناطق أخرى من العالم. إنهم يدعمون أقبح و أسوء الإرهابيين في العالم، و يمنحونهم الملجأ و يتعاملون و يتعاطون معهم كأصدقاء، و يحترمونهم و يكرّمونهم و يساعدونهم مالياً، و لا زالوا يفعلون ذلك. قدموا أكثر الدعم و المساعدة للحكومة الإسرائيلية القائمة على الإرهاب و الاغتصاب و الظلم و العدوان. قدّموا الدعم لها علانية. لم يقدموا المساعدات بهذا القدر الذي قدّموه لإسرائيل حتى لأصدقائهم العرب! أمريكا الآن لا تقدّم المساعدات للحكومات التي تربطها بها علاقات صداقة تقليدية بالقدر الذي تقدّمه لإسرائيل، و الواقع أن صديقتها الحقيقية هي إسرائيل التي ترجّحها على كل تلك الحكومات. و الحال أن إسرائيل حكومة قائمة على الإرهاب. منذ بداية نشوء هذه الدولة قامت على الإرهاب و الاغتيالات و اصطياد المعارضين و الكذب و الظلم و سحق الآخرين و تقتيل البشر جماعياً! هذا هو دعمهم و احتضانهم للإرهاب و الإرهابيين. و في الوقت نفسه ترفع أمريكا حالياً راية محاربة الإرهاب!

هذا هو الكذب و الخداع! و هذا هو الابتعاد عن الأخلاق و حرمان البشر من

الأخلاق! هذا أفظع و أحزن من أية جريمة في العالم أن يرى الإنسان أشخاصاً في العالم يزعمون حمل القيم و الفضائل و هم أول أعداء تلك الفضائل!

العالم بحاجة لرسالتكم و دربكم و للحقيقة التي تحملونها، و بحاجة لقرآنكم الكريم و بعثة رسولكم العظيم (ص). لكنكم ستستطيعون تعليم العالم يوم تكونوا قد تعلمتم أنتم. نستطيع ذلك يوم نكون قد تعلمنا و عملنا مسبقاً.[١]

تعالي حقيقة النبي الأعظم (ص) على فهم البشر و إدراكهم

حول الوجود المقدس للنبي الأكرم (ص) يجب القول أولاً إن معرفة هذا الإنسان العظيم بالنورانية غير ميسورة لأمثالنا. إن حقيقة هذا الكيان العظيم الكريم و هذا الإنسان الأعلى و الأرقى في كل أطوار التاريخ، و الموجود الأعز في كل عالم الوجود، تتعالى على الأبعاد المادية. إن الوجود العزيز لهذا الإنسان أعلى من ما يركه البشر بعقولهم و تجاربهم و حواسهم حين يفحصون نبوغ النوابغ و عقولهم و علومهم و تجاربهم فيضعون شخصية ما في مرتبة عليا و مكانة رفيعة، و يرتّبون آخرين دونه، و آخرين دونهم و هكذا.

حتى لو لم تكن هناك أية رواية و أية آية و أية آثار شرعية، لاستطاع الإنسان أن يدرك ذلك بالدلائل و الأمارات. هذا المعنى معنى رفيع جداً. أصحاب المعنويات و الأرواح السامية يستطيعون إدراك بصيص من ذلك النور. و نحن إنما نرى و نعرف و نشعر بذلك الوجود العزيز العظيم بحواسنا الظاهرية و بما لنا من قيود و حدود.

في حدود هذه الأبعاد التي يستطيع كل البشر فهمها و استيعابها، لا يمكن مقارنة هذا الوجود العظيم بأيّ من عظماء البشر. لاحظوا مثلاً أن الوجود المقدس للإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) استرعى اهتمام و انبهار الكثير من الواعين و العلماء في العالم سابقاً و حاضراً، فاعتبروه شخصية كبيرة و كائناً شبه أسطوري. و لكن نفس هذه الشخصية بما لها من أبعاد و عظمة ما هو إلّا تلميذ و ابن صغير مقابل

---

١. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث السعيد بتاريخ ١٩٩٦/١٢/٠٩ م.

الوجود المقدس للرسول الأكرم (ص)، و لا يرى لنفسه شأناً حيال عظمة الرسول. لاحظوا أن شخصية الإمام أمير المؤمنين (ع) تضيع في البحر اللامتناهي للكيان العظيم الذي تمثل في الرسول الأكرم (ص).

محبّة الرسول الأعظم (ص) النقطة الوحيدة التي لا خلاف عليها بين المسلمين

ما يتعلق بعالمنا في الوقت الراهن نقطة أصرّ عليها دائماً و هي وجود نقطة و محور مشترك بين الفرق الإسلامية – و للمسلمين اليوم الكثير من المشاكل و المعضلات التي يعانون منها و ينبغي لهم استخدام كل الوسائل لإنقاذ أنفسهم منها – لا يوجد أي اختلاف عليه بينهم. حتى بالنسبة لعقيدة التوحيد المتفق عليها قد يكون للبعض تفاسيرهم و كلامهم الذي لا يوافقه البعض الآخر، أما بخصوص هذه النقطة فلا يوجد أي اختلاف بينهم، ألا و هي محبّة نبي الإسلام الكريم سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم). هذا محور اجتماع و اتحاد بين المسلمين ينبغي العمل و بذل الجهود حوله. و سبق أن ذكرنا هذه النقطة، و قد بذل بعض ذوي الهمم العالية جهودهم على هذا الأساس و من أجل اجتماع المسلمين و إيجاد اتحاد بينهم. و اليوم أيضاً يوجد أناس ذوو همم عالية يجب أن يجتمعوا على هذا الأساس و يدعوا المسلمين إلى الوحدة و يصلوا بهم إلى أطوار من الاتحاد.

نذكر نقطة حول قضايا العالم الإسلامي بمناسبة بركات هذا المولود و خيراته. و هي أن يفهم المسلمون وضعهم الراهن و يعرفوه و يشعروا بأن أعداء الإسلام يتربّصون بهم الدوائر و يرسمون مخططات رهيبة لمستقبل المسلمين! فضلاً عمّا فعلوه لحد الآن، مجرد المعرفة بهذا الوضع يجب أن ينبّه ذوي الضمائر اليقظة إلى تحرّي العلاج. و العلاج ليس بالأمر السهل البسيط، لكن فيه نقطتان أو ثلاث نقاط أساسية:

نقاط أساسية في معالجة أمراض راهنة يعاني منها العالم الإسلامي

هناك بالدرجة الأولى قضية الوحدة و الاتحاد بين المسلمين.. على جميع الفرق الإسلامية – من شيعة و سنة و مذاهب مختلفة داخل التسنن و مذاهب شيعية متنوعة – أن تأخذها مأخذ الجد. على المسلمين أن ينظروا لقضية الوحدة الإسلامية في الوقت الحاضر بعين الجدّ. و معنى الوحدة الإسلامية معلوم. ليس المراد بها أن تذوب المذاهب كلها في مذهب واحد. بعض الناس يرفضون المذاهب الأخرى و ينفونها من أجل حصول الاتحاد بين المسلمين. و رفض المذاهب الأخرى لا يعالج مشكلة، إنما إثبات المذاهب هو الذي يحلّ المشكلة. هذه المذاهب الموجودة حالياً تمارس شؤونها العادية كلّ في منطقة عمله و وجوده، و لكن ليحسّنوا من علاقاتهم مع بعضهم.

إنني أرى بعيني أيدٍ متآمرة تعمل بشكل خطير جداً خصوصاً في السنوات الأخيرة – بعد الهجمات التي بدأوها إثر انتصار الثورة، لكنها أحبطت بتحركات حاسمة من قبل الثورة الإسلامية و قائدها الإمام الخميني العظيم – للتفرقة بين المذاهب الإسلامية. الأعداء كانوا دوماً يعارضون اتحاد المسلمين. و التاريخ شاهد على هذا المعنى. أما اليوم حيث ارتفعت راية الإسلامية المظفرة في هذه البقعة من العالم و بكل عظمة و عزة، فصاروا يخشون الوحدة الإسلامية أكثر من أي وقت مضى.

أعزائي، وجود الجمهورية الإسلامية في هذا العالم الكبير.. وجود هذه الدولة القوية و هذا النظام المقتدر و المستقل و هذا الشعب الشجاع و الشامخ و الفعال و الكفوء و المتدين و هذا البلد الكبير و هذه الثورة التي أثبتت نجاحها لحد الآن في معظم الساحات – سواء في انتصار الثورة أو في الانتصار على هجوم العدو الأجنبي في الحرب المفروضة، أو في مجال البناء و العمران – و استطاعت صيانة الوحدة الوطنية بشكل كامل، دعا أعداء الإسلام للتفكير بعمق. إنهم يخافون لأنهم يجدون أن لهذه الثورة جاذبياتها. أين ما كان ثمة مسلم في العالم، حين يرفع بصره و يرى هذه الراية الشامخة المرفرفة ينتابه الحماس و تنبعث في نفسه المشاعر الإسلامية. لاحظوا كم ازدادت بعد انتصار الثورة الإسلامية حالات الهياج و المشاعر و التحركات الإسلامية و نجاحات الجماعات الإسلامية في المنطقة الإسلامية! من شمال أفريقيا و الجزائر و إلى

هنا و حتى الشرق. و هذا بفضل و بركة هذه الراية الرفيعة العالية. لقد انبعث في المجتمعات الإسلامية الشعور بالاستقلال و الشعور بالهوية الإسلامية و الشعور بالشخصية، و انتاب أعداء الإسلام و المسلمين الخوف. الذين عملوا و جهدوا عشرات الأعوام ليخرّجوا المسلمين ضعفاء و يائسين و بدون شخصية و لا هوية، رأوا فجأة أن كل جهودهم ذهبت أدراج الرياح و كل متاعبهم باءت بالفشل. لقد بعث قيام هذه الدولة الإسلامية الشعور بالعزة لدى المسلمين. و راح الأعداء يحاولون بمختلف الطرق قطع الأواصر بين الدولة الإسلامية في إيران و بين المجتمعات و التجمّعات المسلمة في أقطار العالم. إنهم يفعلون هذا. و من أساليبهم و طرائقهم التفرقة الطائفية، و إشعال الحروب و المعارك بين السنة و الشيعة، و تضخيم الفوارق المذهبية و القول إن أولئك شيعة و لا صلة لهم بكم، و الحال أننا هنا رفعنا راية الحكومة الإسلامية و القرآن الكريم و الاسم المبارك لرسول الإسلام محمد المصطفى (ص). و هذا ما يعشقه و يشتاق له جميع المسلمين. هذا أحد السبل و الطرق. و من طرائقهم أيضاً أن يوجّهوا تهم الإرهاب و ما شاكل ليسقطوا الجمهورية الإسلامية و هذا الشعب الكبير و هذه الدولة المعنوية و الأخلاقية و القيمية من الأنظار في العالم.

حين ترونهم يتشدقون لهذه الدرجة باتهامات حقوق الإنسان و انتهاك حقوق الإنسان و الأعمال الإرهابية و ما إلى ذلك، فمن إجل إثبات ذلك في العالم، و هم يعلمون أن هذا كذب. السبب هو إنهم يريدون فصل الرأي العام العالمي عن نظام الجمهورية الإسلامية. الغاية هي خلق البون و الفواصل. و من أجل أن لا يكون هناك انجذاب و صلات بين هذه القلعة الشامخة للإسلام و القرآن و بين المجتمعات الإسلامية في كل أنحاء العالم. و بالطبع فإن الله تعالى يبطل كيدهم: «**إنهم يكيدون كيداً و أكيد كيداً**»،[1] «**و مكروا و مكر الله**».[2] طوال هذه الأعوام كلما فعلوا شيئاً أحبطه الله تعالى و أبطله. لكن العدو على كل حال يخلق العقبات و الموانع و المشكلات. و

---

١. سورة الطارق، الآية ١٥ .

٢. سورة آل عمران، الآية ٥٤ .

ينفضح في بعض المواطن، لكنه لا يقلع عن عدوانه! هنا تكتسب قضية الاتحاد و الوحدة الإسلامية و التفاهم الإسلامي معناها. لاحظوا كم هذه القضية مهمة.

لاحظوا كم هذه القضية مهمة لمستقبل العالم الإسلامي. إنها ليست بالقضية التي يمكن المرور بها مرور الكرام. الكل يجب أن يعتبروا أنفسهم مخاطبين بهذا الكلام. إنني أقولها للجميع، لأهل السنة و للشيعة، و أقولها لمؤلفي الكتب و الشعراء و أصحاب المطابع و لمن لديهم مواقعهم و مكانتهم بين الناس و يتحدثون و ثمة من يستمع لهم.. الكل يجب أن يفهموا هذه الحقيقة و يعرفوا العدو.. احذروا من أن يتموضع العدو في خنادقكم. و احذروا من أن تهاجموا الأصدقاء و أنتم تقصدون مهاجمة الأعداء. كونوا عالمين بالزمان، أي اعرفوا العدو و الصديق و ساحة الصراع. هذه أمور على جانب كبير من الأهمية.

الكل مخاطبون بهذا الكلام. و لا فرق بين الشيعة و السنة. و لا بين الإيراني و غير الإيراني. نحن في إيران لا مشكلة لنا مع أهل السنة و الحمد لله. طوال سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً بعد الثورة عشنا دوماً في وئام و محبّة و صميمية، و نشكر الله على ذلك. إخوتنا في المناطق التي يشكل فيها أهل السنة الأكثرية يقدمون أكثر المساعدات للحكومة و النظام الإسلامي. القضية قضية العالم الإسلامي. و الهمّ همّ مستقبل الإسلام.

ضرورة استخدام المسلمين لمختلف طاقاتهم من أجل تحقيق النجاح

أعزائي.. الحكومات و البلدان و المجاميع و المنظومات الدولية من أجل أن تكسب النجاح في ساحات الكفاح الحياتي تستخدم كل إمكانياتها و قدراتها – بما في ذلك الإمكانيات الجغرافية و التاريخية و القومية. فلماذا لا يستخدم المسلمون هذه الإمكانيات الهائلة التي وهبها الله تعالى لهم؟ المنطقة الجغرافية التي يقطنها المسلمون هي أهم مناطق العالم. و بلدانهم من أثرى بلاد العالم من الناحية الطبيعية. في الوقت الراهن يسيطر المسلمون على بوابة آسيا باتجاه أوربا، و بوابة أوربا باتجاه آسيا و أفريقا، و بوابة أفريقيا نحو أوربا و آسيا. هذه المنطقة المهمة عسكرياً و الأراضي الزاخرة بالخيرات التي

يمتلكها المسلمون تحتوي اليوم طاقات و إمكانيات مثل النفط و الغاز و ما شابه من المواد التي يحتاجها البشر لحضارتهم بصورة يومية. المسلمون مليار و عدة مئات من الملايين، أي إنهم أكثر من خمس سكان العالم. هذا الكمّ الهائل من السكان في مثل هذه المنطقة و بارتفاع راية الإسلام في قلب هذه المنطقة – أي في إيران الإسلامية التي هي اليوم قلب العالم الإسلامي و مركزه الرئيسي – لماذا يجب عدم الاستفادة من كل هذا؟ هذه إمكانية هائلة في أيدي المسلمين. وساوس فصل الدين عن السياسة التي همس بها البريطانيون يوماً و أشاعها الأمريكان يوماً و راح عملاؤهم يبوّقون لها يوماً كلها من أجل أن يغفل المسلمون عن هذه الإمكانيات و المواقع. و تقع على الخواص الواجبات الأكبر في هذا السياق. الخواص هم العلماء و المستنيرون و الشعراء و الخطباء و الصحافيون و أصحاب النفوذ بين الجماعات و الناس. هؤلاء هم الذين يتحمّلون الحجم الأكبر من الواجبات. لقد حان الآوان لأن يصحو العالم الإسلامي على نفسه و يختار الصراط الإلهي المستقيم كسبيل نجاة له، و يسير فيه بقوة و خطوات راسخة. لقد حان الوقت لأن يحافظ العالم الإسلامي على اتحاده و يقف متحداً مقابل العدو المشترك الذي نالت كل الطوائف و الجماعات الإسلامية ما نالت من ضرباته – أي الاستكبار و الصهيونية – و يرفع شعارات واحدة و يكون له إعلام واحد و طريق واحد. و سيحظى إن شاء الله بتأييد الله و سننه و قوانينه، و يتقدم إلى الأمام.

نتمنّى أن يوقظ الله تعالى المجتمعات المسلمة، و يعرّف الحكومات الإسلامية بواجباتها، و يثبّت أقدامنا جميعاً على هذا الصراط الإلهي المستقيم، و يجعل القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) ميّالاً للمجتمعات المسلمة، و يشمل كل الجماعات المسلمة بأدعيته.[1]

---

١. من كلمته في لقائه ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية في ذكرى الولادة السعيدة للرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ١٩٩٧/٠٧/٢٣ م.

ضرورة تفكير المسلمين بأهمية بعثة النبيّ الخاتم (ص)

من بين كل أحداث التاريخ البشري – الأحداث التي تقع للبشر – لو اعتبرنا بعثة الأنبياء أهمها و أكثرها تأثيراً في مصير الإنسانية – و هي أهمها فعلاً – لكانت بعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) من حيث الأهمية على رأس كل الأحداث الكبرى و الصغرى في تاريخ الإنسانية.

ما من حادثة من قبيل الثورات الكبرى و موت الشعوب و حياتها و ظهور الشخصيات العملاقة و زوال الشخصيات الكبرى و انبثاق المدارس المتنوعة، توازي في أهميتها أهمية بعثة الأنبياء. و تلاحظون اليوم أن أبقى و أخلد أشكال الفكر البشري هي الأشكال التي تأتي بها الأديان، و سيبقى الحال كذلك إلى الأبد. مع أنه يوجد اليوم الكثير من الناس لا يعرّضون أنفسهم مباشرة لأنوار بعثة النبي الأكرم (ص) – أي غير المسلمين – لكنهم انتفعوا لحد الآن من خيرات هذه البعثة على نحو غير مباشر.

لا مراء أن العلم و الحضارة البشريين، و الأخلاق الصالحة بين البشر، و العادات الحسنة و الكثير من هذه الأمور، إنْ لم تكن ذات صلة ظاهرية واضحة بالأديان فهي في جذورها الأصلية نابعة من الأديان و المعارف الإلهية، و على رأسها بعثة رسول الإسلام الكريم (ص)، لكن في الوقت نفسه، ستنتفع البشرية كلها من هذه الخيرات و البركات، و بنحو أكبر في المستقبل. إذن، البعثة هي أهم و أبرز و أعظم حدث في تاريخ البشرية.

من المناسب أن يفكر المسلمون في هذا الحدث أكثر. لا يمكننا إنكار مشكلات العالم الإسلامي و متاعبه و تجاهلها. و لا يمكننا استصغار نقاط الضعف التي تعاني منها المجتمعات المسلمة.

ذات يوم جرّب العالم حدثاً تمثل في سيادة الإسلام بنحو كامل على حياة الناس خلال أيام الحياة المقدسة للنبي الأكرم (ص) و فترة محدودة من صدر الإسلام. و نفس تلك الخيرات و البركات بلغت بالأمر حداً استطاعت معه الأمة الإسلامية إيجاد أعظم الشعوب في حقبة من الحقب، و إيقاد مشعل من العلم و الحضارة و الثقافة و الأخلاق

و التقدم و الدروس التي لا تنسى لا تزال البشرية إلى اليوم تقتبس منه. و قد حدث ذلك في فترة جهل مطبق ساد العالم آنذاك.

هذه بالتالي تجربة.. كلما ابتعدنا عن الإسلام و قلّ اهتمامنا برسالة البعثة، كلما ازدادت الحياة صعوبة علينا نحن المسلمين في الفترات و الأحقاب المختلفة.

رسائل المبعث في القرآن الكريم

يمكن البحث عن رسالة المبعث في القرآن الكريم على شكل فصول و أقسام متميزة. أشير هنا إلى قسمين من هذه الرسالة العظيمة لتلاحظوا كم هي مهمة بالنسبة لنا نحن المسلمين، و كيف ترسم لنا الطريق و البرامج:

أحدهما الرسالة التي نقرؤها في آيات من القرآن الكريم منها : «**بسم الله الرحمن الرحيم.. كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**».[1] إنها رسالة الخروج من الظلمات إلى النور.

النور و الظلام ليسا من الأمور التي يمكن أن يخطئ فيها الأنسان حين تعترض سبيله القضايا المتنوعة. الإسلام و رسالة البعثة تخرج البشر من ظلمات الجهل و العادات القبيحة و الأخلاق السيئة و الفتن بين الناس و الخرافات التي تتحكم في أذهان الناس و تستنزفهم و تنحرف بهم عن الطريق المستقيم، و ظلمات الظلم و الطغيان — و هذه كلها ظلمات — و تدلهم على النور الذي ينتصب أمامهم و يهديهم إليه.

تكرّر هذا المضمونُ في العديد من الآيات القرآنية، و هو يعبّر عن تحوّل في حياة الإنسان من النواحي الاجتماعية و من حيث الأهداف و من الناحية الفردية و من كل الجهات و النواحي.

و النقطة المهمة الأخرى هي قضية الأخلاق و الأخلاقيات و تزكية النفوس، و هي أيضاً جرى التأكيد عليها في آيات من القرآن الكريم، و قد ورد في الحديث النبوي

---

١. سورة إبراهيم، الآية ١ .

المعروف بين كل الفرق الإسلامية: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».[١] لاحظوا أنه في المجتمع الذي تشيع فيه الأخلاق الحسنة و مكارم الأخلاق و يتمتع فيه الأفراد بالأخلاق الطيبة و الحسنة مثل الصفح و الأخوّة و الإحسان و العدل و العلم و طلب الحق، و يشيع بينهم الإنصاف و لا تسود بينهم الرذائل و الصفات الذميمة، لاحظوا في أية جنان سيعيشون!

الإنسانية اليوم تعاني من هذه المعضلات. مشكلات العالم الإنساني في الوقت الراهن ناجمة عن الطغيان السياسي في العالم، و المشكلة لها جذور أخلاقية. و معضلات عموم الناس ترجع غالباً إلى جهلهم. و الإسلام يرفع هذه المشاكل و المحن. على المسلمين أن يقدّروا هذه الرسائل حق قدرها و يعرفوا أهميتها.[٢]

البشرية اليوم أحوج من أي وقت لإحياء اسم الرسول (ص) و تعاليمه

تكريم النبيّ الأعظم (ص) و إحياء ذكراه ليس مجرد فعل تشريفاتي، هذا مع أن وجود مثل هذه التشريفات بين الشعوب المسلمة هو الآخر حالة مغتنمة، بل و لازمة، على أن القضية الأكبر و الأهم ليست هذه. العالم الإسلامي في الوقت الراهن أحوج لإحياء ذكرى رسول الإسلام الجليل أكثر من أي وقت آخر، و البشرية أيضاً بحاجة إلى هذا الاسم المبارك و الذكرى و التعاليم المباركة، و لكن قبل أن نريد التطرّق لكل البشرية على العالم الإسلامي أن يعيد معرفة هذا الرصيد المعنوي العظيم. و الأمر هنا على غرار الشعوب التي نامت جائعة فوق مصادرها المادية المجهولة قروناً من الزمان، إلى أن جاء الآخرون و نهبوا مصادرهم و خيراتهم، كذلك يعاني العالم الإسلامي اليوم إلى جانب أرصدته المعنوية الهائلة من كثير من المشكلات، و الحال أن هذه الأرصدة و الكنوز العظيمة الكبرى بوسعها إنقاذه و مساعدته.

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

٢. من كلمته في لقائه مدراء البلاد بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ١٩٩٧/١١/٢٨ م.

ركيزتان أساسيّتان في الإسلام: كلمة التوحيد و توحيد الكلمة

قال أحد الأجلّاء قبل عشرات السنين: **بُني الإسلام على كلمة التوحيد و توحيد الكلمة**. هاتان هما الركيزتان الأساسيتان في الإسلام: الأولى كلمة التوحيد، و من بعدها وحدة الكلمة، و هذه الثانية تعود للأولى، بمعنى وحدة الكلمة على أساس و حول محور التوحيد. إننا اليوم أحوج من أي وقت آخر لهذا الشعار. العودة إلى كلمة التوحيد و توحيد الكلمة.

كل ما ينزل اليوم بالمسلمين و الشعوب المسلمة من البلايا و الصعاب ناجم عن إضاعة الحياة في ظل الإسلام. ليس التوحيد مجرد أمر ذهني، بل هو أمر واقعي و نظام و برنامج حياة. يقول لنا التوحيد كيف نتعامل مع أصدقائنا، و كيف نتعامل مع أعدائنا، و كيف نكون في نظامنا الاجتماعي، و كيف نعيش. يتصوّر البعض أن عقيدة التوحيد قضية تتعلق بما بعد الموت، و الحال أن الاعتقاد بالتوحيد يبني هذا العالم و يشيّد الحياة. هذا ما نحتاج إليه اليوم. هذا ما تحتاج له الشعوب الإسلامية.

كلما سرنا و اقتربنا أكثر من التوحيد و من العبودية لله كلما قلّت عنا شرور الطواغيت و أنداد الله. بمقدار ما سار الشعب الإيراني المسلم على خط التوحيد، استراح اليوم من تطاول أمريكا و غير أمريكا من مستكبري العالم و ألسنتهم. استراح من أوامرهم و نواهيهم و تحكّمهم. هذه هي خصوصية التوحيد و العبودية لله. إذا كنتم عبيداً لله فإن العبودية لله لا تجتمع و عبودية الآخرين و خدمتهم و الرضوخ لهم. هذا هو الركن الأول.

و الركن الثاني هو توحيد الكلمة. الشعوب المسلمة يجب أن تتحد مع بعضها. من أكبر مصائب العالم الإسلامي اليوم هو أن أعداء الإسلام فعلوا ما من شأنه تحويل ما يجب أن يكون سبباً في اتحاد المسلمين – أي وجود الأعداء و الصهاينة الغاصبين – إلى وسيلة لاختلافهم! فعلوا ما جعل بعض الحكومات المسلمة تتخذ هذا الأمر وسيلة للوقوف بوجه إخوتها، و تخلق اختلافات حقيقية. و الحال أن وجود مثل هذا العدوّ في قلب البلدان الإسلامية يجب أن يقرّب المسلمين من بعضهم، و يشكلوا جبهة واحدة و يكونوا يداً واحدة. هذه الخطيئة تعود إلى تدخل الاستكبار و تطاولهم. لو لا دعم

الاستكبار و على رأسه أمريكا لمحتلّي فلسطين و الإرهابيين الدوليين المتواجدين في قلب البلاد الإسلامية – و هم الرؤساء الحاليون لحكومة إسرائيل الزائفة – لما أمكنهم البقاء. و كذا الحال اليوم.

لا يمكن للأمريكان أن يكونوا وسطاء في قضية فلسطين. فهم طرف في القضية، و على الضد من الحكومات و البلدان الإسلامية. و قد أثبتوا ذلك في الأحداث و الأمور التي جرت خلال الأعوام الأخيرة. و الآن أيضاً لا ريب أن دعم أمريكا هي التي جرّأت الصهاينة على ارتكاب هذه الفاجعة العظيمة التي يرتكبونها، أي اغتصاب بيت المقدس قبلة المسلمين ثانية، و إلا لم يكن الصهاينة ليتجرّأوا على ذلك. لو لا دعم أمريكا و مساعداتها لاستطاعت الحكومات الإسلامية أن تتغلب على هذه الزمرة الطاغية. و الآن أيضاً لو اتحدت البلدان المسلمة و الحكومات الإسلامية لاستطاعوا أن يكفّوا شرور الصهاينة.[1]

وجود نبيّ الإسلام الكريم (ص) هو الإسم الإلهي الأعظم

يوم المبعث هو بلا شك أعظم يوم في تاريخ البشرية، لأن الشخص الذي خاطبه الله تعالى و كلفه بالمأمورية و ألقاها على عاتقه – أي الكيان المقدس لنبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) – هو أعظم إنسان في التاريخ و أعظم ظاهرة في عالم الوجود و مظهر الإسم الأعظم للذات الإلهية المقدسة، أو بعبارة أخرى هو نفسه الاسم الإلهي الأعظم. هذا من ناحية و من ناحية ثانية لأن المأمورية التي ألقيت على عاتق هذا الإنسان العظيم – و هي هداية الناس إلى النور و رفع الأغلال عن كواهلهم و التمهيد لعالم يناسب وجود الإنسان، و باقي الواجبات اللامتناهية للأنبياء بعد بعثتهم – ثقيلة و جسيمة و عظيمة جداً. فالمخاطب في البعثة هو أعظم الناس، و الواجب الملقى على عاتقه هو أعظم الواجبات. إذن فهذا اليوم هو أعظم و أعزّ يوم في التاريخ.

---

١. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ١٩٩٨/٠٧/١٢ م.

البعثة استجابة لاحتياجات الإنسان الشاملة اللامتناهية

لو أراد شخص حصر مضمون البعثة في نطاق ما تفهمه و تتصوّره عقولنا الناقصة، فلا ريب أن المبعث و حقيقته و حقيقة هذه الرسالة ستتعرّض للظلم. لا يمكن تقييد مضمون بعثة الرسول في حدود فهمنا و نظراتنا الناقصة. و لكن إذا أردنا تعريف البعثة – رغم لا نهائيتها – في جملة واحدة مجملة يجب القول إن البعثة هي للإنسان. الإنسان أيضاً لا نهائي و له أبعاد عظيمة و لا يتحدد في الجسم و المادة و الأيام القلائل التي يعيشها في الدنيا، كما لا يتحدّد بالمعنويات، و لا يتحدّد في مقطع قصير من التاريخ. الإنسان دوماً و في كل الأحوال إنسان، و أبعاد وجوده لا نهاية لها و غير معروفة. لا يزال الإنسان لحد الآن كائناً غير معروف. و البعثة هي لهذا الإنسان و لأجل مصيره و هدايته.

طبعاً ينتفع كل فرد من الأفراد و كل جماعة من الجماعات البشرية في كل حقبة و زمان من هذه الموهبة بقدر استعدادهم و استيعابهم، مثلما انتفع المسلمون في صدر الإسلام من مفهوم البعثة و حقيقتها و نشروا هذا النور الساطع في كل أرجاء العالم، و هدوا الكثير من البشر إلى الطريق القويم و أخذوا بأيديهم إلى حقيقة العبودية. و بعد ذلك بمدة من الزمن و خلال فترة من فترات التاريخ استطاعوا بناء حضارة و عظمة و علوم في العالم لا يزال بريقها مشهوداً إلى الآن من وراء جدران التاريخ العالية و الفواصل الزمنية الطويلة، و لا يزال العالم يتنعّم بنعم ذلك التقدم العلمي و الصناعي و الفكري و المعرفي و المدني. و طوال هذه العصور من الزمن متى ما استطاع المسلمون الانتفاع بشكل مناسب من الإسلام حققوا السعادة لأنفسهم. أي إنسان استطاع الانتفاع بقدر استيعابه أصاب السعادة بنفس المقدار.

ما حدث في إيران الإسلامية – أي هذه الثورة العظيمة و تأسيس هذا النظام الإسلامي – هو مخطط و قبس مما جاء به الإسلام للبشرية. كان الشعب الإيراني يعيش حياة سيئة تعيسة. كان يعيش زمناً مظلماً. كان قد ابتعد عن شأنه الإنساني مسافات شاسعة. كان قد تعرّض للظلم من النواحي العلمية و الإنسانية و السياسية و الاقتصادية بسبب البُعد عن الإسلام. و بفضل معرفته بالإسلام تمكّن هذا الشعب و

بحركة عظيمة من إيصال نفسه إلى معين الإسلام، و تطبيق أحكام الإسلام عملياً لنفسه، و توفير إمكانيات العمل بهذه الأحكام لنفسه، و استطاع أن يفكر بالإسلام و ينتفع منه، و أن يغور في أعماق الإسلام و يتعرّف على القرآن الكريم.[١]

في المقاييس البشرية تقاس بركة المولود و الولادة بالآثار التي تترتّب على هذه الولادة، سواء منها الآثار المباشرة أو الآثار غير المباشرة. إذا صحّ هذا المقياس – و هو صحيح – يجب القول أن أكثر مولود مبارك على طول التاريخ هو الوجود المقدس لنبيّ الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم). تبدأ هذه البركات منذ لحظة البداية، و ليس هذا بعجيب. قال النبي عيسى (عليه الصلاة و السلام) في بداية ولادته: «**و جلعني مباركاً أين ما كنتُ**».[٢] فأعلن عن بركته منذ الساعات الأولى أو الأيام الأولى لولادته. و كذا الحال بالنسبة لرسولنا الأكرم (ص).

ما سجّلته التواريخ من انهيار قمّة قصر كسرى أو انطفاء النار في معبد النار القديم – و ما إلى ذلك من العلامات و المؤشرات التي وردت – كلها بشائر بركات هذا الموجود العظيم. كل ما في العالم من أحوال قامت على أساس سيادة الشرك و الكفر و الاستبداد و الظلم و التفرقة بين أبناء البشر، يجب أن تزول تدريجياً ببركة وجود هذا الإنسان الراقي و الممتاز و المنقطع النظير. ما تحمّله هذا الإنسان العظيم على عاتقه من أعمال و أعباء و جهاد هو الجزء الأثقل و الأعظم من هذه العملية. بداية هذا الطريق و انطلاق هذه الدعوة يعدّ أهم جزء في هذه العملية.

إشكال العالم في ذلك الحين هو أن الناس و طبقات المجتمع في كل مكان من العالم كانوا قد تعوّدوا على سيادة غير الله و على حكم الطواغيت، و هيمنة الظلم و الاختلافات الطبقية. من الذي يجب أن يقف بوجه هذه المظاهر؟ المظلومون بطبيعة الحال. و حين يكون المظلومون أنفسهم قد صدّقوا بوجوب سيادة الظلم، فلن يبقى أي

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ١٩٩٨/١٠/١٨ م.

٢. سورة مريم، الآية ٣١ .

أمل للإصلاح. و قد كانت المهمّة العظمى للرسول الأكرم (ص) و لدعوته النبوية هو إيقاظ الناس و العالم و البشرية.. «**إن هو إلا ذكر للعالمين**».[1] هذا ذكر و تذكير و تذكّر و إنذار و إيقاظ لكل البشر. من أصعب مراحل الأمر هو تحمّل هذا الإنسان العظيم و تصدّيه لمهمّة الإيقاظ. التعصّبات و التحيّزات القبلية و الشؤون الشخصية و الأنانيات المختلفة صعّبت و عقدت من مهمة هذا الإنسان الكبير. لقد تحمّل النبي (ص) جهاداً عسيراً حتى استطاع فتح هذا الطريق البشري المغلق، و شقّ هذه الصخرة الهائلة. و كل من قام بشيء من بعد ذلك إنما كان تابعاً لهذا العظيم و مواصلاً لدربه و مشفوعاً بمساعدته.

انتفاع العلوم و الحضارة البشرية من الإسلام و تعاليمه

ليس المسلمين وحدهم من انتفع من التعاليم النبوية. العلوم في العالم اليوم و الحضارة في العالم راهناً و المعارف المتوفرة في العالم حالياً و تقدم القافلة الإنسانية مرهون لوجوده (ص). و هذا ليس ما ندّعيه نحن المسلمين. كل المؤرخين و المنصفين يوافقون الفكرة القائلة إن انبثاق الصحوة العلمية في العالم الإسلامي أدّى إلى انتقال هذه الصحوة إلى سائر بقاع الأرض عن طريق الأسفار و التلاقح بين الشعوب و حتى عن طريق فتوح البلدان و الحروب التي خاضوها. المعارف و الأفكار البشرية و الأمور التي يهتمّ لها الإنسان في العصر الحاضر – نظير حقوق الإنسان، و حرية الإنسان، و المساواة بين أفراد البشر، و الأخوّة بين الناس –كلها هدايا قدّمها هذا الإنسان السامق. و في الإسلام، ما ترتّب على هذه الحركة العظيمة هو تأسيس النظام الإسلامي. لم تكن هذه التعاليم لمجرد أن تعظ الناس، بل من أجل أن ترتّب شكل النظام الإنساني و قالبه بنحو يسهّل التحرّك نحو تلك الأهداف و يرفع الموانع و العقبات التي تعترض السبيل، و هذا هو النظام الإسلامي.

الحمد لله على أن المجتمعات الإسلامية وقفت اليوم على أهمية النظام الإسلامي. على مدى سنوات طويلة توجّه الكثير من الكتّاب و الخطباء الكبار و الكثير من

---

١. سورة ص، الآية ٨٧ .

القلوب. لقد انطلقت الصحوة الإسلامية، و وقفت المجتمعات الإسلامية على أهمية هذا الرصيد الذي تمتلكه، و طبعاً ازدادت عداوات أعداء الإسلام بنفس النسبة. إنهم يعملون دوماً على بث التفرقة و الخلافات بين الشعوب المسلمة ليأخذوا كل جماعة و فئة نحو جانب عن طريق التحريضات القومية و الطائفية و العرقية و العصبية. و في هذا إشارة إلى أن العدو أدرك أن الوعي الإسلامي و الصحوة الإسلامية في المناطق الإسلامية راحت تؤتي ثمارها و تفعل فعلها. و هذه هي الحقيقة. لا مراء أن هذا الشعور سوف يأخذ الشعوب الإسلامية صوب النظام الإسلامي و نحو تأسيس أمة إسلامية واحدة. هذا مستقبل حتميّ. و لن يكون لهذه العداوات و الخصومات من أثر. قوة الإسلام فوق هذه الأشياء. ففي إيران الإسلامية، المكان الذي لم يكن يخطر ببال أحد، كانت قوة الإسلام العظيمة هي التي وحّدت الناس و قرّبت القلوب من بعضها، و جعلت الإيمان الإسلامي رصيداً و سنداً لهذا التحرّك، و أوجدت نظاماً إسلامياً في هذا البلد. هذا شيء قد حدث و حصل.[1]

وضع العالم و ظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام (ص)

في الأعوام الماضية كانت مسألة البعثة و ذكرى البعثة الكبرى حين تطرح، كان شعبنا يرى حركته و انبعاثه العام و نهضته الوطنية التاريخية في الثورة الإسلامية استمراراً لتلك البعثة النبوية العظيمة، و إلى جانب ذلك كان هذا السؤال يعنّ لأذهان بعض الأفراد على الأقل – من بين الخواص و أهل النظر – و هو: ما سرّ نجاح الإسلام في ذلك الزمن حيث غربة المعرفة و انتشار الجهل العام الذي ملأ كل العالم. لم تكن الجاهلية سائدة في المنطقة العربية فقط، إنما كانت الجاهلية حتى في الامبراطوريتين العظميين يومذاك، و هما الامبراطورية الإيرانية الساسانية و الامبراطورية الرومانية. لم يكن حتى في تلك الأنحاء و المناطق أثر للعدالة، و كان التمييز سائداً. في إيران هذه كان التعليم و المعرفة مختصين بطبقات معينة، و عموم الناس محرومين من حق العلم و

---

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ١٩٩٩/٠٧/٠١ م.

الدراسة. و الرقّ كان على أسوء أشكاله، و سوء معاملة الضعفاء على أسوء صوره، و قضية المرأة و مشاركة المرأة في المجتمع و التعامل مع النساء كانت هي الأخرى أقبح ما يكون، و في أسوء درجات الامتهان و الإذلال. كانت الجاهلية في كل مكان، و المعرفة كانت غريبة في كل مكان.

العوامل و العناصر المهمة في نجاح الإسلام

جاء الإسلام و أشرقت شمس المعرفة الإسلامية على القلوب و الأذهان، و نمت و تقدمت هذه القافلة على الرغم من وجود الجهل و الظروف غير المواتية في العالم، و سار الركبّ الإنساني بوتائر سريعة. لم يمض سوى نصف قرن على زمن البعثة حتى انضوت أكثر من نصف المعمورات في العالم تحت لواء الإسلام. و هذا ليس بالشيء القليل. أين ما ذهب الإسلام رحّبت به جموع الناس و حشودهم، و أزيحت القوى الورقية التي زاحمته و تصدّت له بسهولة. أيّ عامل استطاع التقدّم بالإسلام نحو الاقتدار على هذا النحو، و من ثمّ إرساء دعائم الحضارة الإسلامية، و قد بقيت هذه الحضارة الإسلامية في ذروة الإشراق و التألق حتى خلال أحقاب انحطاط الاقتدار السياسي للمسلمين، و تركت بصماتها على الثقافة في العالم، و نشرت العلم و أشاعت الثقافة الإسلامية؟ هذه تجارب عجيبة جداً في التاريخ. فما هو العامل في كل هذا النجاح؟ تشكل هذه القضية بحثاً و نقاشاً طويلاً جداً. و قد ناقش الباحثون و الكتّاب هذه القضية، و يجب أن يواصلوا البحث و النقاش. و ما أروم اليوم ذكره في نقطتين أو ثلاث نقاط هو جانب من هذه الحقيقة.

من المتيقّن منه أن أحد العناصر التي عملت على نجاح الإسلام هو الثقة بالله و الأحكام الإلهية: «**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه و المؤمنون كلّ آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله**».[1] الرسول الأعظم (ص) نفسه و المؤمنون في صدر الإسلام كانوا يعتقدون من أعماق قلوبهم برسالة الإسلام و الشعارات و الحقائق الإسلامية، و يرونها بكل كيانهم كافية لإنقاذ البشرية. هذا الإيمان عامل على جانب كبير من الأهمية.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

و العامل الآخر الذي توفر في رأس هذه الحركة على الأقل هو أنهم كانوا لا يأبهون لأنفسهم و لمنافعهم و مصالحهم المادية الشخصية. هذا عامل على جانب كبير من الأهمية. كل هذه الروايات و الأحاديث و كلمات نهج البلاغة و أحاديث النبي الأكرم (ص) و الأئمة (ع) و الشخصيات الكبيرة حول نبذ الدنيا و عدم الاكتراث لزخارفها و مادياتها في ما يخصّ الذات، إنما هو لأجل التأثير البالغ لهذا العامل. و بالطبع فإن أعداء الإسلام و ذوي الفهم الخاطئ من المسلمين توهّموا أو تظاهروا بأنه حين يدعو الإسلام للزهد فالمراد هو عدم طلب الدنيا بمعنى مظاهر عالم الوجود و المظاهر الحياتية. و الحال أن القضية لم تكن هكذا، إنما المراد بالزهد هو الدنيا السيئة و الدنيا الذميمة و أن نجعل أنا و أنتم أنفسنا و مصالحنا المادية هدفاً نلهث وراءه. هذا هو الشيء المدمّر الذي يجلب البؤس و التعاسة، و هو أساس المسكنة.

أولياء الله – الذين استطاعوا الإمساك بهذه الراية بقوة و السير قدماً في هذا الدرب الصعب من دون ملل أو تعب أو نكوص – كانوا أشخاصاً اجتازوا هذا المنعطف. لذلك نقرأ في دعاء الندبة، و هو دعاء حسن المضمون جداً – و الذي يحمد الداعي في بدايته الله تعالى على ما قدّر لأوليائه، و هذه البداية من أجمل و أعمق المفاهيم في هذا الدعاء – نقرأ القول: «**بعد أن شرطت عليهم الزهدَ في درجات هذه الدنيا الدّنيّة و زخرفها و زبرجها**». رفعتهم إلى أرقى مراتب التكامل و السموّ المعنوي و للنعم التي «**لا زوال لها و لا اضمحلال**».[1] أعطيتهم هذه النعم و اخترتهم، و لكن بهذا الشرط. الرسول الأعظم (ص) في أرقى مراتب السموّ البشري. و هذا غير ممكن من دون معونة الله و تمهيده. بيد أن الله منحه هذه الميزة مقابل شرط: «**الزهد في درجات هذه الدنيا الدّنيّة و زخرفها و زبرجها، فشرطوا لك ذلك**».. قبلوا هذا الشرط و عملوا به، و هكذا تظهر شخصية مثل الرسول الأكرم (ص) و الإمام علي بن أبي طالب (ع)، شخصية فولاذية لا تتعب و لا تنتهي، و تتحمّل على كاهلها أعباء لا تختصّ بزمانها، و يطلقون تحرّكاً و مسيرة لا تنتهي بانتهاء أعمارهم.

---

١. إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

استمرار تألق الإسلام و تأثيره على مرّ التاريخ و الحقبة المعاصرة

هذه المسيرة مستمرة. لاحظوا الآن و بعد انقضاء أربعة عشر قرناً أن الإسلام لا زال متألقاً. و كل هذا دائر حول محور ذلك الوجود العظيم و ذلك الجهاد الدؤوب. هذه هي الأمور التي تديم المسيرة بهذا الشكل. و بالطبع فإن ما قام به المسلمون و المؤمنون و العظماء على امتداد الطريق ساعد في هذه الديمومة. ما نتوقعه هو أن لا يضع كبراء العالم الإسلامي – سواء السياسيون منهم أو الشخصيات الدينية – مصالحهم في الدرجة الأولى من الأهمية. ما نتوقعه من الناس و الشخصيات الكبيرة في زماننا ليس توقعاً انبثق لدينا في ضوء سلوك الرسول، لا، فالرسول أرقى من هذا بكثير.

إننا نتوقع هذا من أنفسنا أيضاً. و نتوقعه من الآخرين في العالم الإسلامي بأن لا نجعل مصالحنا و الأنا على رأس الأولويات و الأهداف، و لا نغلّبها على كل الأشياء الأخرى، إنما نقدّم الإسلام و تحقيق قوة الإسلام و اقتداره و رفعته و الكمال الإسلامي على مصالحنا. إذا كان هذا فسيعود للأمة الإسلامية اليوم جانب كبير من قدراتها و طاقاتها الذاتية. العنصر الذي استطاع هنا أن يحمل على عاتقه هذه الأعباء الثقيلة من الاهتمام و الإيمان و العقيدة و المحبة و تحرّك الجماهير و يصل بالأمور إلى هذا الحدّ – و أعني به إمامنا الخميني الجليل –كانت أهم نقطة فيه أنه ألغى نفسه و تجاهلها، و جعل الواجب و التكليف محور عمله و تحرّكه، لذلك نجح. هذا طبعاً بالإضافة إلى الكثير من الامتيازات الأخرى التي توفرت في ذلك الإنسان الجليل. هذا هو أساس الأمر. إننا في الجمهورية الإسلامية و خلال هذه الأعوام العشرين، أين ما استطعنا تقديم الواجب و الأهداف، و تهميش أنانياتنا و الأشخاص و الذات و الأهواء، تقدّمنا إلى الأمام. و لكن متى ما حصل العكس تلقينا الضربات و الخسائر. طوال فترة حرب الأعوام الثمانية، و الذين كانوا عارفين بالتفاصيل يعلمون جيداً، أين ما سادت روح الواجب و قلّت الأنانيات لدى العاملين تقدّمنا إلى الأمام، و لكن أين ما سادت الأنانيات خسرنا و أصابتنا الأضرار. و كذا الحال اليوم أيضاً.[1]

---

١. من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ١٩٩٩/١٠/٠٧ م.

المقام السامي لوجود الرسول الأكرم (ص) و شخصيته و رسالته

النبي الأكرم (ص) من حيث الشخصية في ذروة عالم الخلقة، و من حيث الأبعاد الممكنة الفهم لدى البشر، من قبيل المعايير الإنسانية السامية كالعقل و التدبير و الفطنة و الذكاء و الكرم و الرحمة و العفو و الحسم، و من حيث الأبعاد المتسامية على ذهن البشر و طاقته – الأبعاد الدالة على تجلي الأسم الأعظم لله في وجود الرسول الأكرم (ص) و مقام قربه من الباري عزّ و جلّ – و هي أبعاد لا نعرف عنها سوى اسمها و صورتها، و لا يعلم حقيقتها إلا الله العظيم و أولياؤه الكبار. كما أن رسالة هذا الإنسان العظيم (ص) هي أرقى و أفضل رسالة لسعادة الإنسان. إنها رسالة التوحيد، و ارتقاء مرتبة الإنسان، و تكامل وجود البشر.

صحيح أن البشرية لم توفق لحد الآن لتطبيق هذه الرسالة بنحو كامل في كل جوانب حياتها، لكن لا ريبة في أن مسيرة السموّ و الرقيّ الإنساني ستصل يوماً من الأيام إلى هذه المرتبة. إنها نقطة ذروة و أوج و سموّ للإنسان. على افتراض أن فكر الإنسانية و فهمها و إدراكاتها السامية و علومها تتقدّم إلى الأمام، و رسالة الإسلام حيّة متفاعلة، فلا شك في أن هذه الرسالة ستجد يوماً مكانتها في حياة المجتمع البشري. أحقية الرسالة النبوية، و أحقية التوحيد في الإسلام، و درس الإسلام للحياة و طريق الإسلام لسعادة الإنسان و تقدمه، سوف يأخذ الإنسانية إلى حيث تجد هذا الدرب اللاحب المشرق، و تسير فيه و تتقدّم، و تحقق رفعتها و تكاملها.

المهم بالنسبة لنا نحن المسلمين هو أن نضاعف من معرفتنا للإسلام و رسول الإسلام الكريم. من الآلآم و الأمراض الخطيرة في العالم الإسلامي اليوم مرض التفرقة و الخلافات. محور وحدة العالم الإسلامي يمكن أن يكون الوجود المقدس لرسول الإسلام – و هو القطب الذي يؤمن به الجميع و تلتف حوله عواطف كل البشر – . ليس لنا نحن المسلمين أيّ قطب – مثل الوجود المقدس للرسول الأكرم – بهذا الوضوح و بهذه الشمولية، فالمسلمون كلهم يؤمنون به، و بالإضافة إلى ذلك تربط قلوبهم عواطف و أواصر معنوية قوية بذلك الكيان المقدس. هذا هو خير قطب و محور للوحدة.

جذور و أسباب الإهانات التي يوجّهها الأعداء لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة

ليس من الصدفة أن نشاهد في الأعوام الأخيرة، و على غرار ما حصل في القرون الوسطى و أحقاب التحليلات المغرضة للمستشرقين، أنهم يوجّهون الإهانات لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة. خلال فترات القرون الوسطى كان القساوسة المسيحيون يكيلون الإهانات و الشتائم لشخصية الرسول الأكرم (ص) في كتاباتهم و خطاباتهم و أعمالهم الفنية، و ذلك في الفترات التي شاعت فيها كتابة التاريخ من قبل المستشرقين. و في القرن الماضي شاهدنا أيضاً أن المستشرقين الغربيين غير المسلمين اختاروا الشخصية المقدسة المباركة للرسول الأكرم (ص) لتكون إحدى النقاط التي تطالها سهام تشكيكاتهم و إهاناتهم!

و قد مضت على ذلك الزمن فترة طويلة، لكنهم بدأوا ممارساتهم هذه مرة أخرى في الآونة الأخيرة. خلال الأعوام القليلة الماضية يلاحظ المرء هجمات صحافية و ثقافية قذرة و مشؤومة في مناطق مختلفة من العالم ضد شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). يمكن لهذه العملية أن تكون مقصودة و مدروسة لأنها موجّهة ضد القطب الذي يمكن للمسلمين أن يجتمعوا حوله، فهم جميعاً يؤمنون بالذات المقدسة للنبيّ الأكرم (ص) و يحبّونه و يعشقونه و يلتفون حوله. لذلك يوجّه الأعداء حرابهم و تشكيكاتهم ضده.

من واجب علماء الإسلام و المستنيرين المسلمين و الكتّاب و الشعراء و الفنانين في العالم الإسلامي و بمقدار استطاعتهم رسم الصورة الصحيحة لشخصية النبيّ الأكرم و أبعاد عظمة هذه الذات الكبرى للمسلمين و غير المسلمين. و هذه العملية ستساعد على اتحاد الأمة الإسلامية و القفزة التي تلاحظ اليوم لدى الأجيال الشابة في الأمة الإسلامية نحو الإسلام.